روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

بلا رحمة

115

د. نبيل فاروق

Looloo



رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - الغائب ..

انتفض جسد (قدرى) بغتة ، وهو يجلس داخل الطائرة المصرية ، المتجهة إلى (نيويورك) ، وندت منه شهقة مكتومة ، جعلت (منى توفيق) تلتفت إليه فى حركة حادة ، قائلة :

- ماذا هناك ؟!

حدَّق (قدرى) فى وجهها لحظة فى دهشة ، قبل أن يفرك عينيه ، ويعتدل فى مقعده ، مغمغمًا :

- يبدو أننى قد استغرقت فى النوم ، وراودنى ذلك الكابوس .

سألته فى اهتمام :

- أى كابوس ؟!

تنهَّد فى قوة ، وجفف قطرات قليلة من العرق ، تنزلق على جبهته ، وهو يجيب :

- إنه أمر يتعلَّق بـ (أدهم) .

ثم لوَّح بكفه ، مستطردًا فى شىء من العصبية :

- ولكننى لا أذكر شيئًا حول تفاصيله .

تطلّعت إليه لحظة فى صمت ، ثم لم تلبث أن ربَتت على كتفه ، قائلة :

- لا بأس يا (قدرى) .. هذا أمر طبيعى ، فكلانا يشعر بالقلق تجاه (أدهم) ، ونحن فى طريقنا للحاق به ، فى (أمريكا الجنوبية) ، و ...

قاطعها ، مكملاً فى عصبية :

- ودون علم الإدارة أو موافقتها .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

- أنت تعلم أنه لم يكن لدينا بديل .. لو أننا عرضنا الأمر عليهم ، لرفضوا سفرنا إلى هناك بشدة ، بل وربما أدرجوا اسمينا فى قائمة الممنوعين من السفر ، لمنعنا من ارتكاب مثل هذه الحماقة .

تنهَّد فى توتر ، مغمغمًا :

- أنت على حق .. ما نرتكبه يعدّ حماقة كبرى .. إننا نسافر إلى (ريو دى جانيرو) ، بحثًا عن (أدهم) ، دون أن نمتلك أية معلومات عن مكانه ، أو عن تفاصيل المهمة ، التى يقاتل من أجلها .. بل ولا ندرى حتى ما إذا كان على قيد الحياة ، أم ...

ارتجفت شفتاه مع العبارة الأخيرة ، فعجز عن استكمالها ، مما جعل قلبها يخفق فى صدرها بعنف ، وهى تعقد حاجبيها أكثر ، مكرِّرة :

- لم يكن لدينا بديل ..

قالتها ، وهى تدرك جيدًا أن (قدرى) على حق ..

إنهما يجهلان الكثير عما يفعله (أدهم) فى (ريو دى جانيرو) ..

كل ما يعلمانه ، هو أنه قد انتهى من مهمة عنيفة فى (طوكيو)(*) ، ثم انطلق مباشرة إلى (البرازيل) ، مع زميلته الجديدة (جيهان) ، لمواجهة أمر ما ، يتعلّق بتلك الأفعى المخيفة ، فى عالم الجاسوسية الخاصة ، والمعروفة باسم (السنيورا)(**)

ولكن ما تجهله كان خطيرًا ..

وعنيفًا ..

للغاية ..

لقد بدأ الأمر بسلسلة من حوادث الاختطاف ، لعدد من علماء الذرة ، فى عدة دول مختلفة ..

(*) راجع قصة (اغتيال) .. المغامرة رقم (١١٠) .
(**) راجع قصة (الأفعى) .. المغامرة رقم (١٠٦) .

المهاجر الروسى إلى (إسرائيل) ، البروفيسير (ميخائيل استروتيسكى) ، خبير الطاقة الذرية ..

وعالم الفيزياء النووية الفرنسى ، (جيسكار دى مال) ..

وخبير المفاعلات النووية الأمريكى (دوران جولهى) ..

وفى كل مرة ، كان حادث الاختطاف يحمل توقيع السنيورا ..

تلك الأفعى الغامضة الرهيبة ، التى ترأس واحدة من أقوى وأخطر منظمات الجاسوسية الخاصة فى العالم ، بعد انهيار منظمة (سكوربيون) ، على يد (أدهم صبرى)(*) .

وبسرعة ، درس رجال المخابرات المصرية الأمر ، وأدركوا أن السنيورا تسعى لإنتاج القنابل الذرية ، فى واحدة من أقوى عملياتها ، وأكثرها خطورة ..

وأن اكتمال مشروعها النووى هذا ، ما زال يحتاج إلى عالم رابع ..

إلى خبير فى الهندسة النووية ..

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤) .

وفى هذا المجال ، لم يكن أمامها سوى رجلين ، لا ثالث لهما ..

الدكتور (محمد العفيفى) ، الأستاذ بقسم الهندسة النووية ، فى جامعة (الإسكندرية) ..

والبروفيسير الألمانى (مارك مانهايم) ..

وأسرعت المخابرات المصرية تحمى الدكتور (محمد العفيفى) ، وتستعين به لمواجهة الجانب العلمى من المهمة ، كما أبرقت إلى (أدهم صبرى) ، فور انتهاء مهمته فى (طوكيو) ؛ ليهرع على الفور إلى (ريو دى جانيرو) ، حيث يقضى البروفيسير (مانهايم) إجازته ..

ولم يضع (أدهم) و (جيهان) لحظة واحدة ..

لقد انطلقا على الفور إلى (ريو) ، فى محاولة لإنقاذ البروفيسير (مانهايم) ..

ولكنهما وصلا بعد الأوان ..

للأسف ..

ولكنهما لم يتوقفا ثانية واحدة ، للبكاء على اللبن المسكوب ، وإنما انطلقا على الفور ، خلف رجال السنيورا ، الذين اختطفوا خبير الهندسة النووية ..

وكالمعتاد ، اشتعلت النيران فى أرض المعركة ..

لم يكن (أدهم) قد شفى بعد من إصاباته ، فى العملية السابقة ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا ، كان متألقًا كالمعتاد ، فقاتل كالليث ، واستخدم كل براعته ومهارته وخبرته ، حتى نجح مع (جيهان) فى استعادة البروفيسير (مانهايم) ، من بين قبضات الجميع ..

رجال الشرطة ، بقيادة المفتش (باندرياس) ..

ورجال السنيورا فى (ريو دى جانيرو) ..

وأخيرًا تلك الفرقة ، التى أرسلتها السنيورا على وجه السرعة إلى (ريو) بقيادة واحد من أخطر رجال المخابرات السوفيتية السابقين ..

الماجور (يورى أندروفيتشى) ..

وبوصول (أندروفيتشى) إلى (ريو دى جانيرو) ، اتخذ القتال مسارًا جديدًا .

ورهيبًا ..

وكمحاولة للفرار من خصومه ، والخروج بالبروفيسير (مانهايم) من المدينة ، قرَّر (أدهم) عبور (كوهيدور بيليجرو) ، أكثر الممرات الجبلية وعورة وخطورة ، فى (أمريكا) الجنوبية كلها ،

ليعبروا بعده منطقة الأدغال ، التى تقود إلى المدخل الخلفى للعاصمة (برازيليا) ..

ولكن الطبيعة لم تكن تتحرَّك لصالحه هذه المرة ..

لقد هبَّت على البلاد أعنف عاصفة ، شهدتها القارة كلها ، منذ قرن مضى ..

وكان على (أدهم) و (جيهان) والبروفيسير (مانهايم) أن يواجهوا أبشع وسيلة للموت ، فى قلب ممر الجحيم ..

وكانت العاصفة عاتية ..

رهيبة ..

مخيفة ..

وكانت النجاة منها ، فى (كوهيدور بيليجرو) ، أشبه بخروج قطعة من الثلج ، من قلب الجحيم ، دون أن تتحوَّل إلى بخار ..

ولكن المعجزة تحقَّقت ..

وعلى الرغم من الرياح الرهيبة ، والرمال القادرة على اختراق الأجساد البشرية ، والانهيارات الصخرية العنيفة ، خرج الثلاثة من الجحيم أحياء ..

ولكن إلى حين ..

ففور انتهاء العاصفة ، انقضَّ عليهم (أندروفيتشى) ورجال السنيورا ..

وكانت مواجهة أشدّ عنفًا من العاصفة العاتية ..

مواجهة بين الأشرار والأخيار ..

وبينما تشتعل النيران فى (كوهيدور بيليجرو) ، كانت السنيورا تستقبل بديلاً للبروفيسير (مانهايم) ..

خبير الهندسة النووية البولندى (ديوك بولانسكى) ، الذى تصوَّر الجميع أنه قد لقى مصرعه منذ عدة سنوات ، فى قلب (روسيا) ..

فبعد موافقته على العمل لحساب السنيورا ، أبلغها (استروتيسكى) أن البروفيسير (بولانسكى) لم يلق مصرعه ، وإنما يعتقلونه فى (سيبيريا) ، بتهمة معارضة السياسات الجديدة ، بعد انهيار (الاتحاد السوفيتى) القديم ..

ولم تضع السنيورا لحظة واحدة ..

لقد استعانت بالجنرال (ميلوسكى) ، أحد أقوى عملائها فى (روسيا) ، لإخراج (بولانسكى) من معتقل (سيبيريا) ، وإرساله إليها بأقصى سرعة ..

وعندما وصل (بولانسكى) إلى مقرّها الخفى ، فى

قلب جبال (فيلامونتز) فى (بوليفيا) ، لم تعد بها أدنى حاجة إلى (مانهايم) ..

لذا فقد أبلغت رجلها (أندروفيتشى) بالقضاء عليه ..

ولم يتردَّد الرجل لحظة واحدة ..

والمؤلم أن الأمر لم يقتصر على (مارك مانهايم) وحده ، وإنما امتدّ أيضًا إلى ضحية جديدة ..

(جيهان) ..

وعندما قاتل (أدهم) بكل قوته ، فى قلب ممر الجحيم ، كان يحاول إنقاذ حياته ، وحياة زميلته ، التى أصابتها رصاصة الروسى فى صدرها مباشرة ..

وفرَّ (أدهم) من خصومه ، داخل كهف جبلى محدود ، ولكن (أندروفيتشى) نسف مدخل الكهف ، ليضمن القضاء على خصمه إلى الأبد ..

وفى الكهف المظلم ، وبينما (جيهان) تلفظ أنفاسها الأخيرة ، التقى (أدهم) بـ (بترو) ..

زنجى ضخم الجثة ، مفرط القوة ، شديد الجبن والخوف ، تآزر معه للصعود عَبْر ممر شبه رأسى ، وسط الظلام الدامس ، إلى مقبرة ..

نعم .. مقبرة مخيفة من مقابر الوطنيين ، سكان الأدغال البرازيلية الأصليين ..

وكاد (بترو) يلقى مصرعه فى تلك المقبرة ، لولا أن أنقذ (أدهم) حياته ، مما دفعه إلى استغلال قوتـه المفرطة ، لشق طريقهم إلى خارجها ..

وأخيرًا ، رأت عيونهما شمس الصبـاح ، وحمـل (أدهم) زميلته (جيهان) ، التى صار الموت أقرب إليها من حبل الوريد ، خارج مقبرة الوطنيين ، و ...

وكانت فى انتظارهم مفاجأة ..

مفاجأة كادت تقتل (بترو) ، من شدة الرعب والفزع ..

فخارج المقبرة ، وحولهم تمامًا ، وفى الوقت الـذى نفدت فيه كل قوتهما ، كان يقف عشرة من المقاتلين البدائيين ، عراة الصدور ، اصطبغت وجوههم بطلاء الحرب ، وأطلت من عيونهم ، نظرة صارمة ، قاسية ، مخيفة ، تبدو أكثر حدة من تلك الرماح القوية ، التى يصوبونها إلى الرجلين ..

نظرة تشفَ عن أنهم لا يحملـون للدخـلاء والغربـاء سوى مصير واحد محتوم ..

الموت ..

وبلا رحمة(*) ..

★ ★ ★

(*) لمزيد من التفاصيل راجع قصـة (ريـاح الخطـر) .. المغامرة رقم (١١٣) .

« إذن فقد نجحت فـى قتـل أسـطورة المخـابرات هذا .. »

نطق (لاماس) العبارة فى سخرية ، وهو يرتشـف رشفة من زجاجة ويسكى صغيرة ، ثم أعادها إلى جيب سترته الداخلى ، مستطردًا :

- عجبًا ! كنت أتصورَّ أنه أكثر مناعة من هذا .

بذل (أندروفيتشى) جهدًا حقيقيًا ، للسيطرة على أعصابه هذه المرة ، وهو يقول فى صرامة :

- لكل شىء نهاية .

رمقه (لاماس) بنظرة صامتة ، تحمل مقت الدنيـا وغضبها ، قبل أن يغمغم :

- بالتأكيد .. لكل شىء نهاية .

ثم أردف بلهجة مستفزة :

- ولكل شخص أيضًا .

التفت إليه الروسى فى صرامة ، فتابع فى عصبية :

- وهذا ما كنت ستلقاه ، لـولا وصولـى فـى الوقـت المناسب .

قال (أندروفيتشى) فى برود :

- ألم تملَ بعد ترديد هذه العبارة ؟!

أجابه (لاماس) فى خشونة :

- فلتقل : إننى أعشق التكرار .

مطَّ (أندروفيتشى) شفتيه ، وعاد يتطلَّع عبر النافذة ، قائلاً :

- سخفاء هم من يكررون أنفسهم .

أطلق (لاماس) ضحكة عصبية قصيرة ، وقال :

- من قال هذا ؟! كل شىء فى العالم يتكرَّر بنجاح ، منذ عشرات ، أو ربما مئات السنين .. راقب ما يحدث هنا ، وستدرك أننى على حق ، فعلى الرغم من العاصفة العاتية ، التى حطمت نصف الحى القديم بالمدينة ، وتسبَّبت فى بقائنا هنا ، بعد أن تحطَّمت الطائرة ، التى كان من المفترض أن نعود بها إلى الوطن ، وأغلقت كل المطارات العامة والخاصة ، ستجد أن الجميع منهمكين فى الإعداد للمهرجان السنوى ، وكأنما لا يقلق بالهم سواه .. وما أدراك ما المهرجانات فى (ريو دى جانيرو).. إنها أعظم احتفالات شعبية فى العالم أجمع ، وما من برازيلى يمكنه مقاومتها ، أو التنازل عن إقامتها فى موعدها ، مهما كانت الأسباب .. أليست هذه نمطية مثالية ،

وتكرارًا لم يدع قط للملل ، منذ عشرات السنين ؟!

تطلَّع (أندروفيتشى) لحظة إلى الشارع ، الذى بدأ البعض فى تزيينه بالفعل ، على الرغم من آثار الدمار ، التى لم يتم رفعها بعد ، ثم غمغم فى ازدراء :

- يا للسخافة !

ثم التقط هاتفه المحمول من جيبه ، وهو يتابع فى حزم :

- ولكننا سنجد حتمًا وسيلة للعودة .. ربما ترسل إلينا السنيورا هليوكوبتر كبيرة ، أو ..

لم يتمّ عبارته ، وكأنما لم يجد داعيًا لهذا ، وهو يطلب الرقم الخاص بالسنيورا فى (فيلامومنتز) ، ولم يكد يسمع صوتها ، حتى قال فى هدوء :

- صباح الخير يا سنيورا .. أردت أن أخبرك أن المهمة قد انتهت بنجاح .

سرت فى جسدها قشعريرة باردة كالثلج ، عندما سمعت عبارته ، وانتفض قلبها بين ضلوعها فى عنف ، وانقبضت أصابعها على سمَّاعة الهاتف ، حتى كادت تعتصرها ، وهى تقول بصوت مبحوح ، يموج بالانفعال :

ـ هل .. هل نجحت فى القضاء على (أدهم) ؟!

أجابها بنفس الهدوء الواثق :

ـ وماذا كنت تتوقعين ؟!

ألجم الانفعال لسانها لثوان ، قبل أن تسأله فى لهفة :

ـ كيف ؟!

أجابها فى صوت هادئ ، لم يخل من رنة زهو وثقة :

ـ لقد نسفته نسفًا .

اتسعت عيناها فى لهفة ، وهى تهتف :

ـ نسفته ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ نعم يا سنيورا .. نسفته .. أطلقنا عليه النار ، فأسرع يختفى داخل كهف جبلى ، فنسفنا مدخل الكهف ، و ..

قاطعته صيحتها الهادرة :

ـ نسفت مدخل الكهف ؟!

أدهشته رنة الغضب العنيفة فى صوتها ، وهى تتابع فى حدة :

ـ نسفته هو ، أم نسفت مدخل الكهف فحسب يا (يورى) ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ وما الفارق يا سنيورا .

صرخت :

ـ ما الفارق ؟! أتسألنى ما الفارق يا رجل المخابرات السابق ؟! ألم تعلمك سنوات العمل الطويلة شيئًا عن (أدهم صبرى) ؟! ألم يخبرك ملفه كم مرة تصور فيها الجميع أنه قد لقى مصرعه ، ثم فوجئوا بقبضته تسحق أنوفهم ؟!

قال فى ضيق :

ـ الكهوف الجبلية لها مدخل واحد فى المعتاد ، و ..

قاطعته مرة أخرى فى غضب هادر :

ـ فى المعتاد ، وليس بالضرورة أيها العبقرى ..

وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تضيف وكأن النيران تنبعث من بين شفتيها :

ـ اسمعنى جيدًا يا (يورى أندروفيتشى) .. لست أهتم قط بثقتك فى أنك قد نجحت فى قتل (أدهم صبرى) ، وتحقيق ما عجزت عنه أجهزة المخابرات

العملاقة ، فى كل أركان الأرض ، ولكننى أحتاج إلى دليل قاطع يثبت هذا .

قال فى توتر :

ـ دليل مثل ماذا ؟!

كادت أسنانها تحطِّم بعضها البعض ، وهى تجيب :

ـ جثته .

وعلى الرغم من خبراته السابقة ، واعتياده مواجهة المخاطر والمفاجآت ، وجد الروسى نفسه يهتف فى دهشة بالغة :

ـ جثته ؟!

أجابته السنيورا فى صرامة مخيفة :

ـ نعم يا (يورى) .. أريد جثة (أدهم صبرى) .. هذا هو الدليل الوحيد ، الذى يمكن أن يثبت مصرعه .

قال الروسى فى حدة :

ـ سنيورا .. هل تعلمين كم يتكلَّف أمر كهذا ؟!

أجابته فى سرعة وعصبية :

ـ كل أموال الأرض يا (يورى) .. لست أبالى .. أنفق أية أموال ممكنة .. المهم أن تمنحنى ذلك الدليل ، الذى لا يقبل الشك ، على مصرع الرجل الوحيد ،

فى العالم أجمع ، الذى يمكنه إفساد مشروعى النووى .

وبدا صوتها شديد العصبية والتوتر والانفعال ، وهى تضيف :

ـ لقد استثمرنا الملايين فى هذا المشروع أيها الروسى ، ولا بأس من حماية تلك الملايين بمليون أو مليونى دولار إضافيين .. هل تفهم ؟!

صمت (يورى) لحظة ، فصرخت بكل غضب الدنيا :

ـ هل تفهمنى يا (يورى أندروفيتشى) ؟!

أجابها فى ضيق :

ـ نعم يا سنيورا .. أفهمك .. أفهمك جيِّدًا .

وأنهى الاتصال ، وهو يقاوم بأقصى قوته للسيطرة على توتر أعصابه ، والحفاظ على ملامحه الباردة الجامدة ، ولكن (لاماس) أطلق ضحكة ، ساخرة عالية ، وهو يخرج زجاجة الخمر الصغيرة من جيبه ، ويرتشف منها رشفة أخرى ، قائلاً :

ـ لا داعى لأن تخبرنى بشىء أيها الروسى .. لقد فهمت ما حدث .. السنيورا غضبت ، وعنفتك ، وطالبتك بإثبات ما قلت .. أليس كذلك ؟!

قالهـا ، وراح يقهقـه ، ويقهقـه ، فـى سـخرية مستفزة ، ثم مدّ يده بالزجاجة الصغيرة إلى الروسى ، متابعًا :

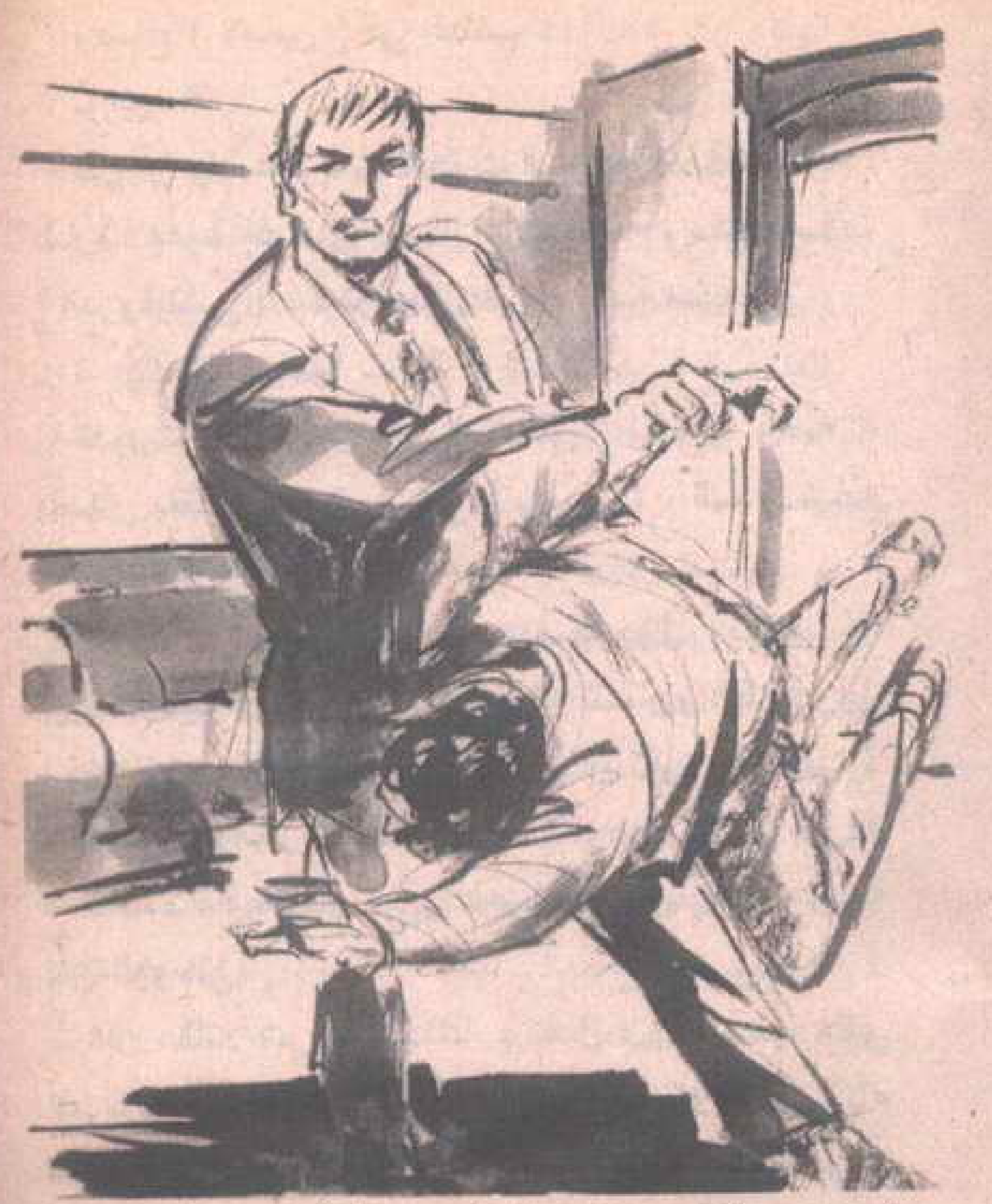
ـ هيا .. لا تخجل مما حدث يا رجل .. أنت مجردً بشر ، ولست مقاتلاً خرافيًا خارقًا .. ارتشف رشفة من هذا ، وستنسى كل مـا قالتـه السنيورا ، وكل ما فعلته أنا لإنقاذك ، و ..

« اخرس أيها الوغد .. »

انطلقت العبارة ، من بين شفتى (أندروفيتشى) صارمة ، قاسية ، حازمة ، على نحو احتقن له وجه (لاماس) ، وجعله يهتف ثائرًا :

ـ وغد ؟! من ذا الذى تصفه بالوغد ، أيها الشيوعى الحقير ؟!

ثم انقـضّ علـى (أندروفيتشـى) ، بكـل غضبـه وثورتـه ، إلا أن هذا الأخير تفـادى انقضاضتـه فـى بساطة وخفة ، ثم التقط معصمه ، وأداره فى براعة ، فوجد (لاماس) نفسه يندفع أكثر إلى الأمام ، ثم يثب مرغمًا ، ويدور حـول نفسـه ، قبـل أن يهوى ليرتطم بالأرض فى عنف ..



ثم يثب مرغمًا ، ويدور حول نفسه ، قبل أن يهوى ليرتطم بالأرض فى عنف ..

وصاح (لاماس) فى غضب :

ـ أيها الـ ..

قبل أن يتمَ عبارته ، تفجَّرت فى فكه لكمة كالقنبلة ، طارت معها إحدى أسنانه الأمامية ، مع صوت (أندروفيتشى) ، وهو يقول فى صرامة مخيفة :

ـ إياك أن تنطقها .

تفجَّرت الدماء من أنف (لاماس) وشفتيه وفمه ، وحدَّق بعينين زائغتين فى (يورى) ، الذى تابع بنفس الصرامة :

ـ ربما كنت مقاتلاً شرسًا ، وسط جبال (بوليفيا) ، بين الأوغاد والصعاليك ، ولكنك لن تتساوى قط مع رجل مخابرات سوفيتى سابق ، وينبغى أن تفهم هذا جيدًا .

مسح (لاماس) الدماء بكمه ، وهو يتشبَّث بطرف المنضدة ، وينهض فى بطء ، دون أن يرفع عينيه عن الروسى ..

كان مقاتلاً شرسًا شجاعًا بالفعل ، ولا يهاب حتى أشرس ذئاب جبال (بوليفيا) إلا أن حياته بين هؤلاء الذئاب ، جعلته يدرك جيدًا ذلك المنطق الوحشى ، الذى تدار به الأمور ، فى العالم السفلى ..

البقاء والزعامة دائمًا للأقوى ..

الأقوى وحده ..

ومن هذا المنطلق ، نهض (لاماس) يواجه (أندروفيتشى) ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

ويبدو أن الروسى قد أدرك هذا بالفعل ..

فلقد استدار يولى ظهره للشاب ، وراح يتطلَّع عبر النافذة ، إلى استعدادات المهرجان ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ نريد هليوكوبتر جديدة ، وتصريح خاص من السلطات ، بالطيران فوق ممر (بيليجرو) ، وفريق من عمال الحفر .. أخبرهم أننا فريق من الجيولوجيين ، أو باحثين عن الآثار ، أو أى شىء يخطر ببالك .. المهم أن تستخرج التصاريح اللازمة ، بأقصى سرعة ممكنة ، وتبعد الفضوليين عن الممر تمامًا .. أعتقد أن السنيورا تدفع مبالغ طائلة ؛ لتضمن ولاء العديدين هنا .. أليس كذلك ؟!

أجابه (لاماس) بسرعة :

ـ بالتأكيد يا سنيور .. بالتأكيد ..

أشار (أندروفيتشى) بيده ، قائلاً فى صرامة :

ـ هيا .. اذهب .

انطلق (لاماس) على الفور لتنفيذ الأمر ، فى طاعة عجيبة ، وكأنما لم يعد يتذكر ذلك القتال العنيف ، الذى دار بينه وبين الروسى منذ دقائق ..

أما (أندروفيتشى) ، فقد شعر بموجة قوية من الثقة والظفر ، تسرى فى عروقه ، مع خضوع (لاماس) ، إلا أنه ظلَّ جامدًا فى مكانه ، يتطلَّع عبر النافذة فى شرود ، وقد فجَّر حديث السنيورا فى عقله تساؤلاً مخيفًا ..

تُرى هل لقى (أدهم صبرى) مصرعه بالفعل ؟!

هل ؟!

★ ★ ★

أشعل مفتش الشرطة البرازيلى (أورتيجا) سيجارته فى بطء ، ونفض عود الثقاب فى قوة ، قبل أن يلقيه فى المنفضة ، وينفث دخان سيجارته فى قوة ، وهو يقول لرئيس الشرطة :

ـ لست أتفق كثيرًا مع آراء الزميل الراحل (باندرياس) ، حول ارتباط تلك الأحداث العنيفة بأعمال الجاسوسية ، أو أجهزة المخابرات المختلفة ..

صحيح أن لديه معلومات توحى بذلك ، عن أحد المشاركين فى الأحداث ، إلا أننى أرى أن الأمور أبسط من هذا بكثير ، حتى ولو كان أحد أطرافها رجل مخابرات سابق .

مال رئيس الشرطة نحوه ، يسأله فى اهتمام :

ـ كيف ترى الأمر إذن ؟!

التقط (أورتيجا) نفسًا عميقًا من سيجارته ، ونفثه فى بطء ، قبل أن يلوِّح بيده ، مجيبًا فى هدوء واثق :

ـ حرب عصابات .. قتال بين تجار المخدرات ، أو مهرِّبى الأسلحة .. هذا هو التفسير المنطقى ، لمحاولة أحدهم عبور (كوهيدور بيليجرو) ، وسعى الآخرين خلفه بهذه الشراسة .. ثم إن رجال أجهزة المخابرات لن يهاجموا رجال الشرطة ، ويطلقون النار عليهم ، ويقتلونهم بمثل هذه الوحشية .

تراجع رئيسه فى مقعده ، قائلاً :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

أجابه (أورتيجا) فى حماس :

ـ بالتأكيد .

ثم عاد يلتقط دخان سيجارته ، وينفثه فى الهواء ، قبل أن يتابع :

- من غير مهربى المخدرات والأسلحة ، يمكن أن يجازف بعبور (كوهيدور بيليجرو) ، ومواجهة الوطنيين فى نهايته ؟!

أومأ رئيس الشرطة برأسه متفهمًا ، وقال :

- وفى هذه الأيام بالذات .

هتف (أورتيجا) فى حماس :

- بالضبط .. إنها أكثر فترات السنة حساسية وخطورة ، بالنسبة لهم ؛ فهم يستعدون للاحتفال بعيد (كل الموتى)(*) ، والاقتراب منهم ، فى مثل هذه المناسبة ، يعدّ دربًا من الجنون ، أو رغبة ملحّة فى الانتحار ، فبالنسبة لأى غريب يقع فى قبضتهم ، لن يكون هناك سوى مصير واحد .

والتقط نفسًا آخر من سيجارته ، ثم نفثه فى بطء ، قبل أن يضيف فى حزم :

(*) عيد كل الموتى : عيد يحتفل به سكان (أمريكا الجنوبية) الأصليون ، فى موعد محدد من كل عام ، وهم يعتقدون أنه ، فى هذا اليوم بالذات ، تعود أرواح الموتى ، لزيارة أهلها فى الدنيا ، وأن تلك الأرواح تنزعج بُشدة ، إذا ما دنس غريب أرض القرية ، فى يوم عودتها .

- الموت ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، مع استطراداته الصارمة :

- وبلا رحمة .

وعلى الرغم منه ، شعر رئيس الشرطة بارتجافة قاسية ، تسرى فى جسده ، ووجد نفسه يغمغم فى توتر :

- نعم .. نعم .. كلنا نعلم هذا .. كلنا ندرك خطورة الاقتراب منهم ، فى هذه الفترة من العام .. حتى السلطات تتحاشى هذا بشدة .

ارتسمت ابتسامة غامضة ، على شفتى (أورتيجا) ، وهو يقول :

- بالضبط .

ثم نهض من مقعده ، وسحق سيجارته فى منفضة السجائر ، مستطردًا :

- لذا ، فلو أردت نصيحتى يا سيِّدى ، فأفضل ما نفعله ، هو أن نغلق ملف هذه القضية ، و ..

رفع رئيس الشرطة عينيه إليه بحركة حادة ، وقال فى صرامة :

- مستحيل !

تراجع (أورتيجا) فى حركة حادة ، مغمغمًا :

- مستحيل ؟!

ضرب رئيس الشرطة سطح المكتب بقبضته ، قائلاً فى صرامة :

- نعم .. مستحيل أيها المفتش .. لقد سقط واحد من أفضل مفتشينا صريعًا ، وهو يتابع هذه القضية ، ولدينا ثلاثة شهود على الأقل ، أكدوا أن هليوكوبتر مجهولة قد حلقت مبتعدة عن الممر ، فى اتجاه المدينة ، بعد مصرع (باندرياس) ، وهذا يعنى أن القضية لم تنته بعد ، وأن القتلة ما زالوا هنا ، فى (ريو دى جانيرو) .

انعقد حاجبى (أورتيجا) ، وهو يقول فى عصبية :

- هل تطالبنا بالاستمرار فى هذه القضية ؟!

أشار إليه رئيس الشرطة ، مجيبًا فى حزم :

- بل أطالبك أنت يا (أورتيجا)

ونهض مستطردًا فى صرامة أكثر :

- إننى أسند إليك هذه القضية ، وأطالبك بمنحى إجابات شافية وافية ، حول كل الأسئلة الغامضة ، التى تحيط بها .. أريد معرفة ما يحدث هنا .. لماذا

حاول بعضهم اختطاف ذلك السائح الألمانى ؟! من ذلك الرجل ، الذى قاتل مع زميلته ؛ لاستعادته من مختطفيه ؟! لماذا لجأ إلى (كوهيدور بيليجرو) ، فى مثل هذه الظروف ، وفى هذه الفترة الرهيبة من العام ؟! من طارده عبر الممر ؟! وأخيرًا ، من قتل (باندرياس) ؟! كل هذه الأسئلة ، أريد معرفة أجوبتها أيها المفتش (أورتيجا) .. وبأقصى سرعة ممكنة .

تطلَّع إليه (أورتيجا) لحظة فى صمت ، قبل أن يغمغم :

- كما تأمر أيها الرئيس .. سأبذل قصارى جهدى .

قالها ، ودار على عقبيه ، على نحو عسكرى ، وغادر الحجرة ، وهو يلتقط سيجارة أخرى من علبته ، ويشعلها بعود ثقاب ، مغمغمًا :

- يبدو أن الأمور لن تسير كما كنا نتوقَّع .

واتجه مباشرة إلى مكتبه ، ووضع قدميه على سطحه ، وهو يسترخى فى مقعده ، ويلتقط الهاتف ، ليطلب رقمًا داخليًا ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال :

- إنه أنا يا (دونيو) .. اجر اتصالاً عاجلاً

بالسنيورا ، وأبلغها أن الأمور تتعقّد أكثر وأكثر .. الرئيس يرفض إغلاق الملف ، بل وأسند القضية لى شخصيًا ، وربما كان هذا هو الجانب الجيّد الوحيد فى الأمر كله .. وأبلغها أيضًا أننى لن أستطيع التعاون على نحو صريح ، فى الأيام القادمة ، ولكننى سأنفذ أوامرها ، وسأواصل البحث عن ذلك الرجل ، الذى تسعى خلفه ، مهما كلفنى هذا من جهد ومال .. هل سمعتنى جيدًا يا (دونيو) ؟! تأكّد من أن تبلغها العبارة الأخيرة بالتحديد .. مهما كلفنى هذا من جهد ومال .. وكرّر كلمة (مال) هذه ، لو اقتضى الأمر المهم أن تبلغها الرسالة .

سأله (دونيو) فى اهتمام :

- هل تعتقد أنه يمكنك العثور عليه بالفعل ؟!

مطّ (أورتيجا) شفتيه ، وقال ، وهو ينفث دخان سيجارته فى قوة :

- مستحيل يا رجل ! الرجل اختفى داخل كهف جبلى ، فى قلب (كوهيدور بيليجرو) ، ورجال السنيورا نسفوا مدخل الكهف ، فما الذى تتوقّعه ؟!

أجابه (دونيو) فى قلق :

- السنيورا تقول : إنه من المحتمل أن يكون هناك مخرج آخر لذلك الكهف الجبلى !

قهقه (أورتيجا) ضاحكًا فى سخرية ، قبل أن يقول :

- مخرج آخر ؟! هل تعلم كم تبلغ احتمالات وجود مخرج آخر ، لأى كهف جبلى يا رجل ؟! وحتى لو افترضنا وجود ذلك المخرج الوهمى ، فإلى أين يمكن أن يقوده هذا ؟! إلى قلب قرى الوطنيين فى الأدغال ، وفى هذا الوقت من العام بالتحديد ..

وأطلق ضحكة أخرى ، ثم تابع فى سخرية أكثر :

- هل تدرك ما الذى يمكن أن يفعله به هؤلاء الوطنيون ؟!

صمت (دونيو) لحظة ، ثم قال فى جدية صارمة :

- السنيورا تشعر بقلق شديد ، من هذا الرجل ، ومنذ بدأت عملى معها ، لم أر شيئًا ، أو شخصًا ، أثار فى نفسها ذرة واحدة من القلق ، وهذا يعنى أنه من الخطأ التعامل معه بتهاون أو استخفاف .. هل فهمت هذا ؟!

بدا الغضب على ملامح (أورتيجا) ، ولكنه سيطر

على أعصابه بأقصى طاقته ، حتى لا ينعكس ذلك الغضب على صوته ، وهو يقول :

ـ نعم يا رجل .. فهمت .

قالها ، وأنهى المحادثة فى عنف ، ثم أطفأ سيجارته قبل أن تكتمل ، وتراجع فى مقعده ، مشبكًا أصابعه أمام وجهه ، وقد انطلق فى أعماقه ذلك السؤال ، الذى يشغل أذهان الجميع ، فى تلك اللحظات ..

تُرى هل قضى (أدهم صبرى) نحبه بالفعل ؟!..

هل ؟!

★ ★ ★



٢ ـ هل ؟!

« الموقف خطير للغاية أيها السادة .. »

أطلق مدير المخابرات العامة المصرية العبارة فى حزم ، وهو يدير عينيه فى وجوه رجاله ومعاونيه ، قبل أن ينقر بأصابعه على سطح مائدة الاجتماعات ، متابعًا :

ـ آخر التقارير التى بلغتنا ، تفيد بأن (ن ـ ١) وزميلته مفقودان ، ولا يوجد أدنى أثر لهما ، بعد العثور على السيارة ، التى استخدماها لعبور ممر (بيليجرو) ، بعد استعادته البروفيسير (مانهايم) مسحوقة بصخور ضخمة ، داخل الممر ، والأكثر إثارة للقلق أن رجال شرطة (ريو دى جانيرو) ، قد عثروا على جثة البروفيسير (مانهايم) ، صريعًا برصاصة فى رأسه ، أطلقت من مسافة قريبة .

اتسعت عينا الدكتور (محمد العفيفى) ، وهو يهتف :

ـ رباه ! هل قتلوا البروفيسير (مانهايم) ؟!
يا إلهى !! لم أتصوَّر قط أن يلجئوا لهذا ، لمنع تلك السنيورا من الظفر به .

التفتت إليه كل العيون فى استنكارٌ ، أطلَّ واضحًا فى لهجة المدير ، وهو يقول :

ـ إلى أين قفز خيالك يا دكتور (محمد) ؟!

لوَّح الرجل بيده ، مجيبًا :

ـ الأمر لا يحتاج إلى خيال جامح ، لتصوّر ما حدث يا سيادة المدير .. لقد نجح رجال تلك السنيورا فى محاصرة رجلكم هذا ، وكادوا يستعيدون (مانهايم) ، لذا فلم يجد أمامه سوى أن يقتله لـ ..

قاطعه المدير فجأة فى صرامة :

ـ مستحيل !

تراجع الدكتور (محمد) فى دهشة ، فتابع المدير :

ـ لو أنك تعرف (أدهم صبرى) مثلما نعرفه ، لأدركت أنه لن يفعل هذا قط .. إنه لن يطلق النار على برىء ، حتى ولو دفع حياته ثمنًا لهذا .

قال الدكتور (محمد) فى إصرار :

ـ ولكننى لو كنت فى موضعه لفعلتها ؛ فالأمر

لا يحتمل التفكير الطويل .. إما أن تفشل السنيورا فى استعادة ذلك الرجل ، أو تصبح لديها القدرة على إنتاج سلسلة من القنابل الذرية ، يعلم اللّٰه (سبحانه وتعالى) وحده فى أى مكان ستنفجر ، ولكنها ستودى حتمًا بحياة ملايين الأبرياء ، فماذا تفعل فى مثل هذه الظروف ؟! وأيهما تختار ؟! حياة برىء واحد ، أم ملايين الأبرياء ؟!

تبادل الرجال نظرة متوترة ، تشفّ عن اقتناعهم بمنطقه إلى حد كبير ، ثم قال أحدهم :

ـ ولكننا ننظر إلى الأمر من زاوية أخرى يا دكتور (محمد) .. إننا نعتقد أن الذى قتل البروفيسير (مانهايم) ليس رجلنا (ن ـ ١) وإنما هو أحد رجال السنيورا على الأرجح .

ارتفع حاجبا الدكتور (محمد) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ولماذا يفعل أحد رجال السنيورا هذا ؟!

أجابه رجل آخر فى سرعة :

ـ لأن السنيورا لم تعد بحاجة إليه .

التقى حاجبا الدكتور (محمد) فى حذر ، وأدار

عينيه فى وجوه رجال المخابرات ، وراوده الشكّ لحظةً ، فى أن الرجال يسخرون منه ، ثم لم يلبث عقله المتطوّر أن ربط الأمور بعضها ببعض ، فهتف :

- آه .. فهمت .

ثم مال إلى الأمام ، متابعًا فى حماس :

- عملية إعدام البروفيسير (بولانسكى) ، فى معتقل (سيبريا) ، بدت للجميع أشبه بلعبة متقنة ، خاصة وأن الروس قد أعلنوا من قبل مصرع (بولانسكى) ، فى حادث ما ، وهذا قد يعنى أن (بولانسكى) لم يمت ، فى هذه المرة أيضًا ، وإنما تم إعلان إعدامه ، لتهريبه من المعتقل إلى جهة ما ، ونظرًا للمعلومات الجديدة ، ومقتل البروفيسير (مانهايم) ، فالأرجح أن تلك الجهة هى السنيورا ، التى علمت من مصدر ما ، أن (ديوك بولانسكى) ما زال حيًا ، فاستعاضت به عن (مانهايم) ، ولم تعد بها حاجة إلى هذا الأخير .

ابتسم أحد الرجال ، وهو يشير إليه ، قائلاً :

- بالضبط .

فى حين قال المدير فى جدية :

- من الواضح أنك موهوب فى أعمال المخابرات أيضًا يا دكتور (محمد) .

ارتبك الدكتور (محمد العفيفى) ، وعدّل منظاره الطبى فوق أنفه ، وهو يغمغم فى خجل :

- إنه مجرّد استنتاج محض .

أجابه المدير :

- بالضبط .. وهنا تكمن العبقرية .

ثم نهض إلى تلك الخريطة الكبيرة على الحائط ، متابعًا :

- ولو أن تلك النظرية صحيحة ، وهذا هو الأرجح ، فهذا يعنى أن البروفيسير (بولانسكى) قد تم نقله ، فور إعلان مقتله ، إلى (أمريكا) الجنوبية ، حيث المقرّ المحتمل للسنيورا ، ولو انطلقت به الطائرة نحو الشرق ، فستبلغ منتصف القارة ، خلال ست ساعات فحسب ، مما يعنى أن البروفيسير (بولانسكى) قد انضمّ بالفعل إلى فريق السنيور النووى ، منذ نحو ساعتين فى المتوسّط .

ثم تطلّع إلى الدكتور (محمد العفيفى) ، متابعًا فى اهتمام :

ـ السؤال الآن هو : فى حالة اكتمال ذلك الفريق ، مع وجود كل الأدوات والخامات اللازمة ، كم تحتاج السنيورا من وقت ، لإنتاج أولى قنابلها الذرية ؟!

رفع الدكتور (محمد) عينيه إلى سقف الحجرة ، وبدا منهمكًا فى التفكير لدقيقة أو يزيد ، ساد خلالها الحجرة صمت تام ، قبل أن يعيد عينيه إليهم ، مجيبًا :

ـ حوالى ثلاثة أيام .

تبادل الرجال نظرات سريعة ، ثم استقرَّت عيونهم عند المدير ، الذى قال :

ـ هذا يعنى أن هذه هى أقصى مدة نمتلكها ، لمنعها من بلوغ غايتها .

قال أحد الرجال فى توتر :

ـ سيِّدى .. لماذا لا نرسل فريقًا من الرجال ، و ..

قاطعه المدير فى حزم :

ـ لن يكون هذا مجديًا .. المشكلة ليست فى عدد الرجال ، ولكن فى خبرة التعامل مع السنيورا ، وفى هذا المضمار لن نجد من يتفوَّق على (أدهم صبرى) .

قال أحدهم فى شىء من العصبية :

ـ وأين هو (أدهم صبرى) ؟!

التفت إليه المدير ، قائلاً :

ـ الله (سبحانه وتعالى) وحده أعلم .

ثم التقى حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

ـ ولكن (منى) و (قدرى) سافرا سرًّا إلى (ريو دى جانيرو) ، ونظرًا لخبرتهما السابقة ، ومعرفتهما الجيِّدة لـ (أدهم) ، أعتقد أنهما سينجحان فى العثور عليه .

غمغم أحد الرجال :

ـ لو أنه على قيد الحياة .

رمقه المدير بنظرة صارمة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

كيف يعترض على عبارته ، وهى تتفق تمامًا مع منطق الظروف والقرائن والأدلة ؟!

كيف يشرح للرجال ما يشعر به فى أعماقه ، من أن (أدهم) لا يزال حيًا ، دون أن يمتلك دليلاً واحدًا على هذا ؟!..

كيف ؟!..

كيف ؟!..

وقبل أن يجد جوابًا لسؤاله ، سمع أحد الرجال يقول :

- ولكن لماذا لم يخبرنا أحد أن الإدارة قد أسندت مهمة البحث عن (ن - ١) إلى (منى) و(قدرى) ؟!

اندفع آخر يتساءل فى توتر :

- وهل يمكن أن تنجح فتاة فى طور النقاهة ، ومزيَّف مدنى ، فى مهمة كهذه ؟!

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقولٍ فى صرامة :

- (منى) و (قدرى) لم تُسند إليهما المهمة رسميًا .. لقد سافرا إلى هناك ، دون موافقة الإدارة .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، حتى الدكتور (محمد العفيفى) ، الذى غمغم :

- وكيف هذا ؟!

تابع المدير ، وكأنه لم يلحظ دهشتهم ، أو يسمع تعليق الدكتور (محمد) :

- (منى) لم تعد إلى العمل رسميًا بعد ، و(قدرى) فى إجازته السنوية ، ولا أحد يمكنه منعهما من السفر ، إلى أى مكان يحلو لهما .

ثم أضاف فى حزم :

- كل ما فى الأمر أننا سنسعى للاستفادة من حماقتهما ، التى ستدفعهما حتمًا للبحث عن (أدهم) ، والتوصُّل إلى مكانه .

كرَّر الرجل بصوت أكثر ارتفاعًا :

- هذا لو أنه ما زال على قيد الحياة .

وفى هذه المرة ، ران على حجرة الاجتماعات صمت رهيب ، والسؤال يتفجَّر فى رءوس وقلوب الجميع بلا هوادة ..

أين (أدهم صبرى) الآن ؟!

أين ؟!

* * *

تطلَّع موظف التصاريح إلى (لاماس) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يزدرد لعابه ، ويغمغم فى توتر وارتباك ، وهو يميل نحوه ، حرصًا على ألا يسمعه أحد :

- إننى على استعداد تام بالطبع ، لتنفيذ كل ما تأمر به السنيورا يا سنيور (لاماس) ، ولكن الموقف متوتر للغاية اليوم ، والشرطة ما زالت تفحص المكان ، بعد أن لقى المفتش (باندرياس) مصرعه هناك ، ومن غير المنطقى أن نمنح أى مخلوق تصريحًا بالتنقيب هناك ، مهما كانت الأسباب والمبرِّرات .

قال (لاماس) فى صرامة :

- امنحنا التصريح بتاريخ مسبق .

هزَّ الرجل رأسه فى قوة ، وتلفَّت حوله فى توتر بالغ ، هامسًا :

- لن يقتنع أحد بهذا .. هناك أوراق وسجلات ، وأمور عديدة ، يمكن أن ينكشف بها الأمر ، والعقوبات ستكون صارمة عنيفة ، لا قبل لى بمواجهتها .

انعقد حاجبا (لاماس) فى شدة ، وهو يقول :

- هل تعنى أنك ستعارض أوامر السنيورا يا رجل ؟!

تراجع الرجل فى هلع ، ولوَّح بذراعيه فى ذعر ، هاتفًا :

- لا .. لا .. أنا لم أقل هذا يا سنيور (لاماس) .

ثم عاد يتلفَّت حوله فى ذعر ، مكملاً :

- ولكننى شرحت لك الأمر كله .

تطلَّع (لاماس) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى صرامة :

- التصريح يا رجل .

امتقع وجه الرجل ، وهو يهمس فى ضراعة :

- أرجوك يا سنيور (لاماس) .. أرجوك .

كرَّر (لاماس) فى غضب صارم :

- التصريح .

ازداد امتقاع وجه الرجل ، وأخرج منديله ، ليجفِّف عرقًا وهميًا عن وجهه ، وهو يتلفت حوله مرة أخرى ، قائلاً فى انهيار :

- سنيور (لاماس) .. سيفصلوننى من العمل حتمًا ، لو أدركوا أننى فعلت هذا .

ابتسم (لاماس) فى سخرية ، وهو يقول :

- والسنيورا ستفصلك من الحياة كلها ، لو لم تفعل هذا يا رجل .

اتسعت عينا الرجل فى ارتياع ، وبدا وكأنه سيسقط فاقد الوعى ، وهو يتمتم فى مرارة :

- أعلم هذا يا سنيور (لاماس) .. أعلم هذا .

وعاد يجلس خلف مكتبه ، وكأنما تضاعفت سنوات عمره مرات ومرات ، والتقط قلمه ، وامتدَّت أصابعه المرتجفة تضع توقيعه على التصريح ..

وفى ظفر ، التقط (لاماس) التصريح ، ثم أخرج من جيبه مظروفًا متخمًا بالدولارات ، وألقاه إليه ، قائلاً :

- أحسنت فعلاً يا رجل .

مدّ الرجل أصابعه المرتجفة ، ليلتقط المظروف ، ويدسّه فى جيبه ، متمتمًا :

- أتعشّم هذا .. أتعشّم هذا .

دسّ (لاماس) التصريح فى جيبه ، وانطلق به إلى سيارته ، وراح يشقّ بها شوارع المدينة ، التى انهمكت فى الاستعداد لمهرجان الليلة ، حتى بلغ ذلك المنزل ، الذى يقيم فيه الجميع ، فى منتصف المدينة ، واندفع داخله يقول فى حماس .

- لقد حصلت على التصريح يا سنيور (أندروفيتشى) لقد حـ ..

قاطعه (كوادروس) بإشارة من يده ، قائلاً :

- اخفض صوتك يا (لاماس) .. القائد نائم .

ارتفع حاجبا (لاماس) فى دهشة ، وهو يقول :

- نائم ؟!

أجابه (كوادروس) :

- بالطبع يا رجل .. أنسيت أنه لم يغمض له جفن ، طوال ليلة أمس ؟!

غمغم (لاماس) فى دهشة :

- كلاً .. لم أنس هذا ، ولكننى تصوّرت أن الموقف الحالى لا يحتمل النوم .

قال (كوادروس) فى صرامة :

- كل بشر يحتاج إلى النوم يا رجل .

أجابه (لاماس) فى حدة :

- أعلم هذا ، ولكن ..

قاطعه صوت صارم ، يقول :

- أنت على حق يا (لاماس) .

استدار الاثنان فى دهشة إلى مصدر الصوت ، وتضاعفت دهشتهما ، عندما وقع بصرهما على (يورى أندروفيتشى) ، فى كامل حلته ، أنيقًا متألقًا ، مفعمًا بالحيوية والنشاط ، وهو يتابع :

- الموقف الحالى لا يحتمل النوم .

صمت (لاماس) لحظة ، وهو يحدّق فيه ، ثم لم يلبث أن هتف فى حماس :

- لقد حصلت على التصريح .

أشار (أندروفيتشى) بيده ، قائلاً :

- لم نعد بحاجة إليه .

بُهت (لاماس) لحظة ، ثم هتف فى حنق :

- ماذا تعنى بأننا لم نعد بحاجة إليه يا هذا ؟!
أجابه (أندروفيتشى) فى صرامة :
- السنيورا أبلغتنى أن أحد مفتشى الشرطة هنا يعمل لحسابها ، وأنه سيتعاون معنا فى عملية البحث عن (أدهم صبرى) .
وصمت لحظة ما قبل أن يضيف فى حزم :
- أو بقاياه .
شعر (لاماس) بالسخط والغضب ؛ لأن الجهد الذى بذله ، للحصول على التصريح ، بدا سخيفًا فى تلك اللحظة ، فقال فى عصبية :
- وكيف سينجح ذلك الشرطى فى معاونتنا ، على الرغم من توتر الموقف ؟!
أجابه (أندروفيتشى) فى برود :
- لقد أسندوا إليه مهمة التحقيق فى الأمر .
ثم ألقى نظرة على ساعته ، قبل أن يضيف :
- وهو ينتظرنا الآن عند ذلك الكهف ، الذى نسفنا مدخله .
تمتم (لاماس) فى عصبية :
- عظيم .. أتعشَّم أن يكون قد أحضر جيشًا من

العمال ، ليفتح لنا الطريق ، بعد كل تلك الانهيارات الصخرية ، التى سدَّت معظم الممر ، فى أثناء العاصفة .
رمقه (أندروفيتشى) بنظرة باردة كالثلج ، قبل أن يقول :
- سنذهب إليه بالهليوكوبتر .
قال (لاماس) فى عصبية :
- هليوكوبتر ؟! وأية هليوكوبتر تلك التى ..
قبل أن يتم عبارته ، تابع (أندروفيتشى) فى حزم :
- هليوكوبتر تحمل شعار الشرطة .
وانعقد حاجبا (لاماس) فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..
ودون أن يجد فى نفسه القدرة على أن يفعل ..
ففى تلك اللحظة ، وعلى الرغم من معرفته السابقة ، أدرك أن قوة ونفوذ السنيورا يمتدَّان إلى أبعد مما كان يتصوَّر ..
وعلى نحو مخيف ..
للغاية ..

★ ★ ★

ارتجفت أصابع (دى مال) ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر فى معمله الخاص ، فى وكر السنيورا ،

وزاغت عيناه ، وهما تحدّقان فى الشاشة ، التى تحمل حساباته ومعادلاته ، ثم لم يلبث أن دفن وجهه فى كفيه ، هاتفًا فى مرارة :

ـ لا .. لا يمكننى أن أفعل هذا .. لا يمكننى .

كان يقاوم رغبة عنيفة فى البكاء ، مع شعوره بالقهر والعجز ، إلا أنه لم يستطع كتمانها طويلاً ، فتفجّرت دموعه غزيرة ، حتى غمرت وجهه ، وهو يغادر مقعده فى حدة ، مكملاً :

ـ لا يمكننى أن أساعد فى إنتاج قنابل ذرية ، أعلم جيدًا أنها ستُستخدم لقهر النفوس ، وقتل الأبرياء .. لا يمكننى هذا أبدًا .

راح يدور فى الحجرة بعصبية بالغة ، وعقله يستعيد كل ما حدث ، فى اليومين السابقين ، حتى استقرّت أفكاره عند لقائه الأخير بالسنيورا ..

وتذكر حديثهما عن ابنته غير الشرعية (برجيت) ..

لم يدر كيف عرفت السنيورا بأمرها ، وهو يحرص طوال عمره على إخفائها ، ونفى صلته بها ؟!

هل كانت تراقبه منذ زمن طويل ؟!

هل راقبت لقاءاته المختلسة بها ؟!

ولكن كيف ؟!..

كيف ؟!

لقد كان يبذل قصارى جهده للتخفّى ، كلما ذهب للقاء (برجيت) ..

وكان يلتقى بها فى مكان مختلف ، كل مرة !!

وهذا يعنى أن السنيورا أقوى مما يتصوّر ..

أقوى بكثير ..

ولكن من أدراه أنها قادرة على الظفر بابنته فعلاً ؟!

ربما كان حديثها مجرّد تهديد أجوف فحسب ..

لا ..

إنه واثق من أنها تستطيع الظفر بابنته ، وقتما تشاء ..

قوتها وسطوتها ، اللتين تتمثلان فى ذلك المركز النووى المتكامل ، الذى أنشأته فى قلب جبال (بوليفيا) ، تؤكدان قدرتها على فعل أى شىء ..

أى شىء ..

تصاعدت فى أعماقه مرة أخرى ، تلك الرغبة العارمة فى البكاء ، فهتف بكل حنقه ومرارته :

ـ لا .. لن يمكننى هذا قط .



تطلَّعت إليه بنظرة نارية ، وهى تلتقط دخان سيجارتها ، ثم نفثته فى بطء ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انفتح باب معمله آليًا ، وظهرت على عتبته السنيورا ، وهى تنفث دخان سيجارتها الطويلة ، قائلة :

- ينبغى أن تحاول يا بروفيسير .

حدَّق فيها لحظة ، فى مزيج من الدهشة والغضب ، قبل أن يهتف فى حدة :

- هل تراقبيننا ؟!

هزَّت كتفيها فى لامبالاة ، وهى تدلف إلى معمله ، والباب يُغلق خلفها آليًا ، وقالت فى برود :

- أعتقد أن هذا أمر طبيعى .. إننى أحتجزكم هنا ، على الرغم من إرادتكم ، ولابد أن أراقبكم طوال الوقت ، حتى لا يُقدم أحدكم على حماقة ، تفسد مشروعى النووى كله .

قال فى حدة وغضب :

- أسلوب حقير .

تطلَّعت إليه بنظرة نارية ، وهى تلتقط دخان سيجارتها ، ثم نفثته فى بطء ، قائلة :

- ربما ، ولكنه يحقِّق ما أصبو إليه .

ضرب سطح منضدة قريبة فى عنف ، هاتفًا :

- لا يا سنيورا .. لن يمكنك تحقيق ما تسعين إليه .. لن أتعاون قط مع منظمة إجرامية كمنظمتك .. حتى ولو كان الثمن حياتى .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مستطردًا :

- أو حتى حياة ابنتى (برجيت) .

انعقد حاجباها ، وهى تتطلع إليه بنظرة صارمة ، قبل أن تقول :

- هل تعى حقًا ما تقول ؟!

أجابها فى عصبية :

- نعم .. لقد فكرت فى الأمر جيدًا ، ووجدت أن موت ابنتى آت لا محالة ، فإما أن تقتليها أنت ، أو تقتلها واحدة من قنابلك الذرية ، وهذا يعنى أن تعاونى معك لن ينقذها من الموت ، بل ربما يجعل الموت أقرب إليها من حبل الوريد .

انعقد حاجباها الجميلان فى شدة ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى توتر ، متطلعة إليه فى صمت ، وأدركت بخبرتها وذكائها أن الرجل يعنى جيدًا ما يقول ، وأن أعصابه لم تعد تحتمل الاستمرار فى التعاون معها ، فلاذت بالصمت والتفكير العميق ، لأكثر من

دقيقة كاملة ، ألقت سيجارتها بعدها أرضًا ، وسحقتها بقدمها ، قائلة فى صرامة :

- أحيانًا لا يكون الموت مخيفًا ، بقدر ما تكون وسيلة الموت نفسها .

ارتجف صوته ، وهو يسألها فى عصبية :

- ماذا تعنين ؟!

نهضت قائلة :

- إنه مجرَّد تساؤل يدور فى ذهنى يا بروفيسير (دى مال) .. تُرى أية وسيلة تصلح ، للقضاء على (برجيت) الجميلة الرقيقة ؟! هل نسلخ جلدها حية ، أم نسكب الحامض المركز على جسدها ووجهها قطرة فقطرة ؟!

احتقن وجهه بشدة ، واتسعت عيناه فى ارتياع راق لها ، فقالت فى هدوء مستفز :

- هذا يتوقف على فترة التعذيب المطلوبة ، قبل أن تلقى مصرعها بالطبع .

هتف فى غضب ، وهو ينقض عليها :

- أيتها اللعينة .

مالت فى رشاقة ، متفادية انقضاضته ، ثم لكمته

فى معدته لكمة كالقنبلة ، ولوت ذراعه خلف ظهره ، ثم أدارت جسده فى خفة ، فطار فى الهواء ، وارتطم بمقعده فى عنف ، ليسقط معه أرضًا ..

ومع كل الآلام ، التى انبعثت فى جسده ، هتف :

- لا .. لا ..

انعقد حاجبا السنيورا فى صرامة مخيفة ، وهى تواجهه ، قائلة :

- إياك أن تحاول مرة أخرى يا رجل .. إياك .

ثم اتجهت نحو الباب ، فى خطوات هادئة ، وتوقفت أمامه ، حتى انفتح آليًا ، وقالت فى صرامة دون أن تلتفت إلى عالم الذرة :

- قم بعملك .

قالتها ، وغادرت الباب ، الذى انغلق خلفها فى نعومة ، تاركةً (دى مال) داخل المعمل يلهث فى ألم وانفعال ، وينتحب مغمغمًا :

- لا فائدة .. لا فائدة .

ثم تعلّق بمقعده ، ودفع جسده إليه ، متابعًا فى مرارة :

- سامحينى يا (برجيت) .. إننى أفعل كل هذا من

أجلك .. من أجلك وحدك .. ولثوان ، تطلّع إلى الشاشة ، قبل أن تنحدر من عينيه دمعة ساخنة ، ويعود لمواصلة عمله ..

وبمنتهى الاستسلام ..

★ ★ ★

أشعل المفتش (أورتيجا) سيجارته فى بطء ، داخل هليوكوبتر الشرطة ، التى حلّقت فوق مصر (بيليجرو) ، وبداخلها (أندروفيتشى) و (لاماس) ، و(كوادروس) ، وقال بابتسامة واثقة :

- لست أدرى سر إصرار السنيورا على العثور على جثة ذلك الرجل .. إن هذا أكثر صعوبة من العثور على إبرة فى كومة من القش ، فهو قد لقى مصرعه على الأرجح ، داخل ذلك الكهف ، عندما نسفته قنبلتكم نسفًا ، أما لو كان قد عثر بالمصادفة البحتة على مخرج آخر ، فسيقوده ذلك المخرج حتمًا إلى قلب منطقة الوطنيين ، وهذ مصير أسوأ من الموت بالقنبلة ، خاصة وأنه سيصل إليهم منهكًا ، لو قاتل داخل الكهف ، أو عبر مخرجه الآخر المزعوم .

أجابه (أندروفيتشى) فى هدوء ، وهو يتطلّع إلى

الممر أسفله ، ويستعيد ذكريات صراع الساعات السابقة :

- ليس من الضرورى أن نعثر على جثته بالتحديد .. يكفى أن نجد دليلاً قاطعًا على مصرعه .

قهقه (أورتيجا) ضاحكًا ، وهو يلقى عود الثقاب ، قائلاً :

- لديك ألف دليل منطقى يا رجل .. لقد أحضرت فريقًا من رجال الشرطة ، فى محاولة لرفع الصخور المنهارة ، عند مدخل ذلك الكهف ، وهم يعملون منذ أكثر من ساعتين دون جدوى .. هل يبدو لك من المنطقى أن ينجو رجل ما من شىء كهذا ؟!

صمت (أندروفيتشى) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

- نريد دليلاً قاطعًا .

هزّ (أورتيجا) كتفيه ، ونفث دخان سيجارته ، قائلاً :

- لا بأس يا رجل .. لا بأس .. الرجال يبذلون قصارى جهدهم ، للبحث عن هذا الدليل ، أما نحن ، فسنتفقد الممر بأكمله ، ثم نحلق فوق قرى ومناطق الوطنيين ، لعلنا نجد شيئًا .

تمتم (أندروفيتشى) فى صرامة :

- لا بأس .

أما (كوادروس) ، فقد هزّ رأسه ، قائلاً :

- لو أردتم رأيى ، فكل هذا مجرد إضاعة للوقت .

أجابه (لاماس) فى حدة :

- لم يطلب أحد رأيك .

قال (كوادروس) فى لهجة مستفزة :

- إننى أمنحه مجانًا .

قال (لاماس) فى عصبية :

- هذا أمر طبيعى ، فهو لا يساوى شيئًا .

ضمّ (كوادروس) قبضته ، قائلاً فى غضب :

- أهذا رأيك ؟!

صاح بهما (أندروفيتشى) فى صرامة :

- كفى .

لم يكد ينطقها ، حتى انفجر (أورتيجا) ضاحكًا ، وقال :

- رائع .. تمامًا مثلما يحدث بين رجال الشرطة .. كنت أتصور أن العمل فى القطاع الخاص يختلف .

أجابه (أندروفيتشى) فى صرامة مقتضبة :

- إنه يختلف بالفعل .

نفث (أورتيجا) دخان سيجارته ، وهمّ بقول شيء ما ، إلا أنه شعر بعدم رغبة الروسى فى الاستطراد ، فأطبق شفتيه ، ومطهما لحظة ، ثم استرخى فى مقعده ، وراح يدير عينيه فيما حوله ، والهليوكوبتر تواصل التحليق فوق (كوهيدور بيليجرو) ، متجهة نحو مواقع الوطنيين ، و ..

« ما هذا بالضبط ؟! »

هتف (أندروفيتشى) بالسؤال فجأة ، وهو يشير إلى أقصى اليمين ، فالتفت الجميع إلى حيث يشير ، ووقع بصرهم على عامود من الدخان ، يتصاعد من بين الأدغال ، على نحو متقطع ، أشبه بإشارات الهنود الحمر(*) ..

انعقد حاجبا (أورتيجا) ، وهو يقول :

(*) الهنود الحمر ، هو الاسم الذى يُطلق على سكان (أمريكا) الشمالية الأصليين ، ومنذ كشف القارة الجديدة ، كان هؤلاء الهنود الحمر يستخدمون ما يسمى بإشارات الدخان ، لنقل الرسائل فيما بينهم ، عبر المسافات الطويلة ، وهذه الإشارات أشبه بإشارات (موريس) التلغرافية ، ولكنها تتمّ بوساطة الدخان المتقطع .

- إنها إشارة التضحية .

ردد (كوادروس) فى دهشة :

- إشارة التضحية ؟!

أجابه (أورتيجا) فى سرعة :

- نعم .. إنها إشارة دخانية ، يطلقها الوطنيون ، عندما يقدمون قربانًا للأرواح العائدة ، فى عيد (كل الموتى) .

سأله (أندروفيتشى) ، وهو يعتدل فى اهتمام بالغ :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه (أورتيجا) وهو يشير للطيّار بالاتجاه نحو الدخان .

- يعنى أنهم قد قدّموا قربانًا للأرواح ، وهذا القربان بشريًا على الأرجح .

التقى حاجبا الروسى فى شدة ، وهو يقول :

- بشرى .

قفزت إلى ذهنه عشرات الأفكار ، التى لم تنتقل قط إلى لسانه ، وهو يتطلّع إلى عامود الدخان ، والهليوكوبتر تقترب منه ..

وتقترب ..

وتقترب ..

ثم فجأة ، أصبحت الرؤية واضحة ..

جيش من الوطنيين ، يلتفَ حول حفرة كبيرة ، اندلعت فيها النيران ، وتصاعدت منها أدخنة كثيفة ، مع رائحة شواء عنيفة ، وقد انهمك خمسة منهم في تحريك مراوح ضخمة ، بزوايا مدروسة ، بحيث يتقطَع عامود الدخان ، على نحو منتظم ..

وما إن دخلت الهليوكوبتر مجال الرؤية ، حتى تفجَر غضب هادر فى ذلك الجيش البدائى ، وانطلقت من حلوقهم صيحات حادة مستنكرة ، وهم يلوَحون برماحهم فى الهواء ، فهتف الطيَار :

- لا ينبغى أن نقترب منهم اليوم .. إنهم ثائرون للغاية .

صاح به (أندروفيتشى) فى صرامة :

- اقترب أكثر يا رجل .. أريد أن أرى ذلك الذى يحترق فى الحفرة .

هتف الطيار :

- خطر يا سيدى .. خطر .

صاح (أندروفيتشى) :

- قلت لك : اقترب أكثر .

لم يكد يتمّ صيحته ، حتى تحوّل غضب الوطنيين إلى ثورة عارمة ، وراحوا يلقون رماحهم نحو الهليوكوبتر ، فصرخ الطيار :

- مستحيل :

قالها ، وهو يجذب ذراع القيادة ، ويرتفع بالهليوكوبتر فى سرعة ، فصرخ (أندروفيتشى) فى غضب :

- لا تخالف أوامرى أيها الـ ..

قاطعه (أورتيجا) فى حدة صارمة :

- كفى يا سنيور (أندروفيتشى) .. أنت لا تدرك ما تفعله .

استدار إليه (أندروفيتشى) ، قائلاً :

- هل سننسحب من أمام بعض الوثنيين الحمقى ؟!

أجابه (أورتيجا) فى صرامة :

- بالطبع .. هؤلاء الوثنيون فى قمة ثورتهم اليوم ، وهم أبرع منا كثيرًا فى إلقاء رماحهم ، ولو أن رمحًا واحدًا أصاب مروحة الهليوكوبتر ، فستهوى كلها فى قلب قريتهم ، وعندئذ لن تنقذنا قوة فى الأرض من أيديهم .

قال (كوادروس) فى حزم :

- لا أعتقد أن رماحهم ستنجح فى مواجهة رصاصات مسدساتنا .

التفت إليه (أورتيجا) فى حدة قائلاً :

- هل تعتقد هذا ؟! اعلم إذن أن هؤلاء الوثنيين يمثلون لنا مشكلة ضخمة للغاية ، ويسببون خسائر فادحة لتجّار الأخشاب ، ويمنعون أية محاولات لشق طريق مختصر عبر الأدغال ، إلى العاصمة (برازيليا) ، حتى أن الدولة قد قرَّرت يومًا مهاجمتهم ، بفرقة كاملة من القوات الخاصة ، مدعَّمة بكل الأسلحة القتالية اللازمة ، وتضمّ أكثر من مائتى رجل ، يجيدون كل أساليب القتال ، فهل تعلم ماذا كان مصير تلك الفرقة ؟!

حدَّق (كوادروس) فى وجهه بنظرة عصبية صامتة ، فتابع (أورتيجا) فى صرامة :

- لقد أبيدت عن آخرها ، ولم نعثر حتى الآن سوى على عظمة محترقة ، ألقيت عمدًا فى (كوهيدور بيلجرو) ؛ لتعلن لنا حقيقة واحدة .

ثم مال نحوه ، مضيفًا :

- إن مواجهة هؤلاء الوطنيين مستحيلة !

انعقد حاجبا (أندروفيتشى) فى توتر ، ولم ينبس ببنت شفة ، والهليوكوبتر تنطلق مبتعدة عن المكان ، ودارت فى أعماقه أفكار شتى ، وهو يسترجع كل ما حدث ..

العاصفة ..

انفجار مدخل الكهف ..

النيران المشتعلة فى منطقة الوطنيين ..

رائحة الشواء الرهيبة ..

وكلمات المفتش (أورتيجا) ..

وبخبرة رجل مخابرات سابق ، راح يربط تلك الأمور ببعضها البعض ، حتى تجاوزت الهليوكوبتر الممر ، وانطلقت عائدة إلى المدينة ، ثم لم يلبث أن استرخى فى مقعده ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ثقة وارتياح ، بعد أن توصَّل إلى قرار نهائى فى هذا الشأن ..

لقد انتهى أمر (أدهم صبرى) حتمًا ..

وإلى الأبد .

★ ★ ★

٣ - مهرجان العنف ..

« السادة ركّاب طـائرة (بـان أمريكـان) ، القادمـة من (نيويورك) .. قائد الطائرة يهنئكم بسلامة الوصول إلى مطار (برازيليا) ، ويرجو منكم ربـط أحزمـة المقاعد ، والامتناع عن التدخين .. وشكرًا .. »

لم يكد (قدرى) يسمع ذلك النداء الأخير ، حتى هتف فى سعادة :

- أخيرًا ..

ابتسمت (منى) فى إرهاق ، وهى تقول :

- أنت تعلم منذ البداية ، أن الرحلة إلى (أمريكا) الجنوبية ليست هيّنة .

هتف ساخطًا :

- ولكن طعام الطائرات لا يشبع أبدًا .

وتألّقت عيناه فى نهم ، وهو يستطرد فى لهفة :

- يقولـون : إن (البرازيـل) تشـتهر باللحـوم .. أليس كذلك ؟!

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تقول :

- (قـدرى) .. أما زلـت تشـعر بالجـوع ؟! لقـد تناولت ثلاث وجبات إضافية ، طوال رحلتنا إلى هنا .

لوّح بسبّابته ، قائلاً :

- وجبـات سفـرية خفيفـة يا عزيـزتى .. أشيـاء بسيطة ، لا تشبع من جوع ، ولا تملأ تلك المعـدة المسكينة .

ضحكت فى إرهاق ، قائلة :

- إنها معدة مسكينة بالفعل .

شعرت مع نهاية عبارتها بارتجاجـة خفيفـة ، تنبئ عن هبوط الطائرة ، فانبعثت داخلها موجة من التوتر ، حتى إنها لم تكد تلمح إشارة الأمان ، حتى حلّت حزام مقعدها ، قائلة :

- هيّا بنـا .

لحق بها (قدرى) ، وهو يهتف بالعربية :

- رويدك يـا (منـى) .. الجوع الـذى أشعر بـه ، يمنعنى من اللحاق بك بالسرعة المناسبة .

هتفت مستنكرة :

- الجـوع ؟!

ثم هزَّت رأسها ، مستطردة :

ـ يا للرجال !

كانت تشعر بمزيج من التوتُّر والقلق واللهفة ، مع وصولهما إلى العاصمة البرازيلية ، واقترابهما من (أدهم) ..

وارتجف جسدها كله ، مع تردُّد اسمه فى أعماقها .

(أدهم) ، زميلها ، وأستاذها ، والشخص الوحيد فى العالم أجمع ، الذى خفق له قلبها ، وغرقت فى حبه حتى النخاع ..

تُرى أين هو الآن ؟!

هل نجح فى عبور (كوهيدور بيليجرو) ، فى قلب العاصفة ؟!

هل نجا ، أم ...... ؟!

لم تستطع إكمال السؤال فى أعماقها ، وسرت فى جسدها قشعريرة باردة كالثلج ، وتوتَّرت على نحو لم يغب عن عينى مفتش الجمارك ، الذى رمقها بنظرة شكّ ، وهو يطالع جواز سفرها ، وتأشيرة الدخول ، المطبوعة بالنظام ثلاثى الأبعاد ، قبل أن يسألها بلهجة جافة ، وباللغة الإنجليزية :

ـ ما سبب زيارتك لبلدنا يا سيِّدتى ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ دراسة اللغة الأسبانية ، وزيارة بعض الأماكن الشهيرة هنا .

سألها فى شك واضح :

ـ فقط ؟!

حاولت أن ترسم ابتسامة على شفتيها ، وهى تقول :

ـ ألا يكفى هذا ؟!

لم ترق له إجابتها ، فعاد يراجع تأشيرة الدخول للمرة الثانية ، إلا أنها بدت له سليمة تمامًا ، فاكتفى بتفتيش حقيبتها ، التى لم تحو سوى أدوات الزينة التقليدية ، التى يمكن أن تحملها أية أنثى ، ثم لم يلبث أن سمح لها بالدخول ، ثم التفت إلى (قدرى) ، الذى انهمك فى تناول شطيرة ضخمة سميكة ، وهو يدفع حقيبته أمامه ، قائلاً :

ـ أما أنا ، فقد أتيت للاستمتاع بالأطعمة البرازيلية الشهيرة ، والتقاط بعض الصور ، فأنا مصورٌ محترف ، كما ستقرأ فى جواز سفرى .

ابتسم المفتش ، وهو يراجع محتويات الحقيبة ، التى تتوافق مع المهنة المدوَّنة فى جواز السفر ..

آلات تصوير ..

أفلام خام ..

كيماويات التحميض والإظهار والتثبيت ..

وبسرعة ، راجع المفتش تلك الأدوات ، ثم أعاد إليه جواز سفره ، وابتسم ، قائلاً فى هدوء :

ـ مرحبًا بك فى (البرازيل) .

اتسعت ابتسامة (قدرى) ، والتقط حقيبته ، وهو يغادر المطار ، حاملاً شطيرته الضخمة ، ولم تكد (منى) تلمحه ، حتى سألته فى اهتمام :

ـ هل نجحت فى العبور ؟!

لوَّح بالشطيرة ، قائلاً :

ـ بالطبع .. لقد جعلتم منى محترفًا ، فى هذا المضمار .

وانطلق يقهقه فى مرح ، قبل أن يناولها الشطيرة ، مستطردًا :

ـ أظنك تتلهفين على الحصول على شطيرتى .. أليس كذلك ؟!

التقطت الشطيرة منه فى لهفة ، مجيبة :

ـ محتوياتها فقط يا عزيزى (قدرى) .

فتحت الشطيرة فى لهفة ، والتقطت منها كيسًا من النايلون ، بداخله مسدس صغير ، مصنوع بالكامل من البلاستيك القوى ، وتنهَّدت فى ارتياح ، وهى تخرج المسدس من الكيس ، وتدسّه فى حقيبتها الصغيرة ، ثم تسأله :

ـ وماذا عن الذخيرة ؟!

ربَّت على حقيبته ، مجيبًا :

ـ جراب الحاوى يحوى الكثير .

تنهَّدت مرة أخرى ، قائلة :

ـ حمدًا لله .. دعنا الآن نبحث عن سيارة ، تنقلنا إلى (ريو دى جانيرو) ، حتى يمكننا تقديم كل ما لدينا لـ (أدهم) .

قالتها ، ثم خفق قلبها فى عنف ، عندما طرح عقلها سؤالاً مخيفًا ..

تُرى هل ستجد (أدهم) و (جيهان) على قيد الحياة ، عندما تبلغ (ريو دى جانيرو) ؟!

أم ..

ولم يجرؤ عقلها على مناقشة الأمر ..
قط ..

* * *

تفجَّر غضب هادر ، فى أعماق السنيورا ، وكادت أصابعها تعتصر سمَّاعة هاتفها الخاص ، وهى تقول لـ (أندروفيتشى) فى حدة :

- أى قول هذا يا (يورى) ؟! ماذا تعنى بأنه لن يمكنك العثور على جثة (أدهم صبرى) ؟!

أجابها الروسى فى صرامة ، على الرغم من حدتها :

- أعنى ما سمعتينى أقوله بالضبط يا سنيورا .. عندى أكثر من دليل على أن الرجل قد لقى حتفه ، ولم يعد له وجود فى عالم الأحياء ، ولكن العثور على جثته أمر آخر ، فقد انهارت الدنيا فوق رأسه ، واشتعلت فيها النيران ، حتى بات من المستحيل أن نعثر على عظمة واحدة من بقاياه .

قالت فى حدة :

- التجارب علمتنى أنه من المستحيل اعتبار رجل مثل (أدهم صبرى) ميتًا ، دون أن ترى جثته بنفسك .

أجابها بنفس الصرامة :

- المشكلة أنه لم يتبق منه ما يمكن رؤيته هذه المرة .. الكهف الذى نسفته داخله انهار على بعضه البعض ، حتى أن فريقًا تابعًا للشرطة ، ظلَّ يرفع الأحجار ، طوال ست ساعات كاملة ، دون أن يصل إلى شىء .

قالت فى عصبية زائدة :

- وماذا لو أنه هناك مخرج آخر ؟!

بدا الضيق واضحًا فى صوته ، وهو يجيب :

- هذه الفكرة لم تلق قبولاً عند أحد ، ولا أثر لها فى كل الخرائط المساحية للمنطقة ، والاحتمال الوحيد لوجود ذلك المخرج الآخر ، هو امتداده حتى منطقة نفوذ الوطنيين ، وهؤلاء قوم وثنيون ، وحشيون ، ويحتفلون فى هذه الآونة بأحد أعيادهم الوثنية المقدَّسة ، وهم يبلغون أقصى شراستهم وعنفهم ، فى هذه الأيام ، واقتراب أى غريب منهم يعنى موته ، وبلا رحمة ، ولقد رويت لك ما فعلوه بفرقة قتالية مسلَّحة كاملة .

هزَّت رأسها فى قوة ، قائلة :

- أريد دليلاً أكثر قوة .

قال فى حنق :

- هذا كل ما لدينا هنا يا سنيورا ، ولم يمكننا بلوغ ما هو أفضل .

التقى حاجباها فى شدة ، وأشعلت سيجارتها فى عصبية زائدة ، فتابع هو ، فى شىء من الحدة والصرامة :

- أعتقد أن بقاءنا هنا لم يعد مفيدًا .

أجابته فى سرعة ، وهى تنفث دخان السيجارة :

- وكذلك عودتكم .

صدمه الجواب ، فقال فى غضب :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابته فى صرامة :

- يعنى أن الأمور مستقرَة هنا ، إلى حد كبير ، والعمل يسير على ما يرام ، وسيتم إنتاج الدفعة الأولى من قنابلنا الذرية ، خلال ثلاثة أيام فحسب ؛ لذا فوجودكم هنا لن يفيدنا قط ، أما بقاؤكم فى (ريو) ، فقد يفيدنا كثيرًا ، إذا ما تبيَّن أنكم جميعًا على خطأ ، وأن (أدهم صبرى) مازال على قيد الحياة .

أجابها فى حدة :

- (أدهم صبرى) مات يا سنيورا .. مات وانتهى أمره .. حاولى استيعاب هذه الحقيقة ..

ثم استعاد هدوءه بسرعة مدهشة ، وهو يستدرك :

- ولكننا لا نمانع فى بقائنا هنا ، طوال الأيام الثلاثة القادمة ، خاصة وأن المدينة تستعد للمهرجان السنوى ، وسنجد الكثير من المرح .

صمتت لحظة ، قبل أن تقول فى صرامة :

- فليكن يا (يورى) .. استمتع مع (لاماس) و (كوادروس) وباقى الرجال بالمهرجان ، ولكن لا تغفلوا قط احتمال وجود (أدهم صبرى) على قيد الحياة ، حتى ولو بلغ هذا الاحتمال الواحد فى المليون .. هل تفهم ؟!

صمت بدوره بضع لحظات ، ثم قال :

- فليكن يا سنيورا .. فليكن .

قالها ، وأنهى المحادثة بغتة ، على نحو جعلها تعقد حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

- أيها الوغد .

ونهضت تنفث دخان سيجارتها فى عصبية ،

محاولة استيعاب الموقف ..

كل شيء يؤكد أن (أدهم صبرى) قد لقى مصرعه ، فى (كوهيدور بيليجرو) ، على نحو أو آخر ..

ولكن ليس هناك دليلاً واحدًا ماديًا على حدوث هذا .

لذا ، فهى لا تشعر أبدًا بالارتياح ..

شىء ما فى أعماقها ، يصرّ على أنه لم يلق مصرعه بعد ..

شىء لا يمكنها مقاومته ..

وهو أيضًا بلا دليل ..

ولكنه يلتهم كيانها ومشاعرها طوال الوقت ..

وبلا رحمة ..

ثم إن حياة (أدهم) أو موته لم يعد المشكلة الأولى فى حياتها ..

قضيتها الأولى الآن ، هى بلوغ هدفها النووى ..

إنتاج القنابل الذرية ، التى ستحقق ما تصبو إليه منذ البداية ..

السيطرة ..

السيطرة المطلقة على العالم كله ..

صحيح أن عمالقة الاقتصاد الأربعة ، الذين

استثمروا ملايينهم فى مشروعها ، يتصوّرون أنها ستحقق لهم السيطرة على الاقتصاد العالمى ..

ولكن هذا لم يكن أبدًا هدفها الأوّل ..

صحيح أنها ستمتلك السيطرة الاقتصادية عالميًا ..

ولكن هذا مجرّد جزء من الهدف ..

فهدفها الحقيقى هو السيطرة على كل شىء ..

كل شىء بلا استثناء ..

الاقتصاد ..

التجارة ..

التسلُح ..

وحتى السياسة الدولية ..

كل شىء ..

تألّقت عيناها بشدة ، عندما بلغت بتفكيرها هذه المرحلة ، ووجدت نفسها تهتف ، وهى تلقى سيجارتها بعيدًا :

ـ كل شىء ..

جرف الانفعال مشاعرها بشدة ، فارتجف جسدها كله ، وهى تشعل سيجارة جديدة ، وتطلق دخانها فى سقف الحجرة ، قبل أن تتابع فى توتر :

- المهم أن يختفى (أدهم صبرى) لثلاثة أيام .. ثلاثة أيام فحسب .

كانت عبارتها تؤكد إيمانها الشديد بأن (أدهم) لم يلق مصرعه ..

ولكن السؤال ظلّ يحفر عقلها بلا هوادة ..

لو أنه لم يلق مصرعه فعلاً ، فأين هو الآن ؟!

أين ؟!

أين ؟!

وظلّ السؤال يعتصر فمها طوال الوقت بلا جواب .. وبلا رحمة ..

* * *

على الرغم من أن تلك العاصفة الهوجاء ، التى كادت تدمّر المدينة ، لم تنته إلا منذ أقلّ من اثنتى عشرة ساعة ، إلا أن مظاهر الاحتفال بالمهرجان بدت واضحة ، فى كل شارع وكل طريق فى (ريو دى جانيرو) ، حتى أن (قدرى) لم يتمالك نفسه ، وهو يهتف :

- عجبًا ! هل وصلنا بعد قيام ثورة ما ؟!

أجابته (منى) فى جدية ، وهى تقود سيارتها ، عبر شوارع المدينة :

- إنه المهرجان السنوى ، أكبر المهرجانات ، التى تقام فى (ريو) ، على مدار العام ، وكل مخلوق هنا يحرص على الاحتفال به ، مهما كانت الظروف .

تطلّع إلى ما حوله فى انبهار ، قبل أن يقول :

- عظيم .. هذا يمنحنا صورة السائحين ، اللذين قطعا كل هذه المسافة ، لمشاهدة المهرجان ، أو المشاركة فيه .

غمغمت فى عصبية واضحة :

- بالضبط .

التفت إليها فى قلق ، يسألها :

- ماذا هناك ؟!

أجابته فى توتر :

- هذا المهرجان سيزيد عملية العثور على (أدهم) صعوبة ، فما أن تغرب الشمس ، حتى تزدحم تلك الشوارع بالمحتفلين ، الذين لن يتركوا مترًا واحدًا للتحرك ، فى (ريو دى جانيرو) كلها .

انتقل توترها إليه ، وهو يقول :

- آه .. أنت على حق .. الأمر معقد بالفعل .

واستغرق في التفكير بضع لحظات ، قبل أن يشير بسبّابته ، قائلاً :

- ولكن لماذا لا نلجأ إلى الأسلوب المباشر ؟! أنت تعلمين أن أقصر الطرق ، من نقطة إلى أخرى ، هى الخط المستقيم .

سألته فى اهتمام ، يشوبه الكثير من التوتر :

- ماذا تعنى ؟!

أجابها فى حماس :

- دعينا نتجه إلى مكتبنا هنا مباشرة ، ونسألهم عما لديهم من معلومات حول (أدهم) ومهمته .

بدت عليها الدهشة ، وهى تقول :

- وكيف نفعل هذا أيها العبقرى ؟! إننا هنا بصفة شخصية ، غير رسمية ، و (أدهم) و (جيهان) فى مهمة رسمية ، وغيرمسموح لأفراد مكتبنا هنا بالإفصاح عن أية معلومات ، لأشخاص غير رسميين .

هزّ كتفيه المكتظين ، قائلاً :

- دعينا نبذل محاولة واحدة على الأقل .

مطّت شفتيها ، قائلة :

- لن تفيد .. إننى أعرف القانون والقواعد جيدًا .

قال فى إصرار :

- لا بأس من محاولة واحدة .

أوقفت السيارة على جانب الطريق ، والتفتت إليه ، تسأله فى توتر أكثر :

- (قدرى) .. ما الذى تخفيه بالضبط ؟!

تنحنح (قدرى) فى حرج ، وهزّ كتفيه مرة أخرى ، وانفرجت شفتاه ، على نحو يوحى بأنه سيقول شيئًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبقهما ، وتنهّد ، قائلاً :

- يبدو أننى لا أجيد الحفاظ على الأسرار طويلاً .

قالت فى صرامة :

- حسن يا (قدرى) .. كلى آذان مصغية .

أومأ برأسه عدة مرات ، قبل أن يقول :

- لقد اتصل بى المدير شخصيًا ، قبل سفرنا مباشرة ، وأخبرنى أن مراجعة كمبيوتر المطار أوضحت لهم أننا ، أنت وأنا ، قد حجزنا تذكرتين على طائرة (بان أمريكان) ، المتجهة إلى (نيويورك) ، وأنه يعلم أننا سنسافر خلف (أدهم) .

قالت فى دهشة :

- عجبًا !! إنهم لم يحاولوا حتى منعنا .

قال بسرعة :

ـ ليس هذا فحسب ، وإنما سيساعدوننا بكل ما يمكنهم أيضًا .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكن ليس بصفة رسمية .

تطلعت إليه لحظات فى صمت ، ثم هزت رأسها ، مغمغمة :

ـ كان ينبغى أن أتوقع هذا .

وعادت تدير محرك السيارة ، مستطردة :

ـ فليكن .. دعنا نذهب إلى مكتبنا مباشرة .

قالتها ، دون أن تدرى أن عينين ثاقبتين كانتا تراقبانها فى اهتمام وإمعان ، منذ أوقفت سيارتها فى ذلك المكان ..

وفى اهتمام شديد ، غمغم صاحب العينين بالروسية :

ـ عجبًا !! إنها فتاة المخابرات ، زميلة (أدهم صبرى) السابقة !! كنت أتصور أنها قد لقيت مصرعها منذ فترة ! ترى ماذا تفعل هنا ؟!

ثم التفت إلى شخص ضخم الجثة إلى جواره ، وقال :

ـ (كوادروس) .

هرع الضخم إليه ، قائلاً :

ـ أمرك أيها القائد .

أشار (أندروفيتشى) إلى السيارة ، التى استعدت للانطلاق ، وقال :

ـ اتبع هذه السيارة ، واجمع كل ما يمكنك من معلومات عن راكبيها .

التقى حاجبا (كوادروس) ، وهو يتطلع إلى السيارة ، قائلاً فى حزم وحماس :

ـ سمعًا وطاعة أيها القائد .

واندفع يقفز فى سيارته ، وينطلق بها خلف سيارة (منى) ، فى حين وقف (أندروفيتشى) يراقبهما يبتعدان ، ثم غمغم :

ـ دعينا نرى أين ستذهبين يا فتاة المخابرات المصرية ، وبمن ستلتقين ؟!

قالها ، وعقله يعيد دراسة الأمر كله مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، كان يرى الموقف على نحو مختلف ..

مختلف تمامًا ..

* * *

« هناك من يتبعنا يا (قدرى) .. »

لم تستطع (منى) إخفاء توترها ، وهى تنطق العبارة ، متطلعة إلى مرآة السيارة الجانبية ، فاعتدل (قدرى) فى مجلسه ، وقال فى قلق :

- يتبعنا ؟! وما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابته ، وهى تلتقط المسدس الصغير من حقيبتها فى حذر :

- يعنى أن أحدهم يشكّ فى أمرنا ، أو أننا مراقبان ، منذ وصلنا إلى هنا .

ارتجف جسده ، وهو يقول :

- مراقبان ؟! يا إلهى ! أأنت واثقة يا (منى) ؟!

أدارت عجلة السيارة بغتة ، لتنحرف فى شارع جانبى إلى اليسار ، قائلة فى حزم :

- دعنا نختبر هذا .

أطلقت إطارات السيارة صريرًا مزعجًا ، وهى تنحرف بزاوية حرجة ، فى ذلك الشارع الجانبى ، قبل أن تنطلق كالصاروخ ، فهتف (كوادروس) فى عصبية :

- اللعنة !

وانحرف بسيارته بدوره ، خلف سيارة (منى) ..

ومع صرير إطارات سيارته ، انعقد حاجبا (منى) ، وهى تقول لـ (قدرى) :

- هل رأيت ؟!

غمغم متوترًا :

- رأيت .

ثم سألها فى قلق شديد :

- ولكن ماذا سنفعل معه ، أو معهم ؟! أنت مازلت فى طور النقاهة ، وأنا مجرَّد مزوِّر رسمى مسكين ، لا يمكننى حتى أن أقاتل بعوضة !!

أمسكت مسدسها فى قوة ، قائلة :

- سنقاتل ، حتى آخر رمق .

أفزعته عبارتها ، فالتفت يلقى نظرة على السيارة المطاردة ، التى حجب زجاجها الداكن العاكس صورة من يجلس داخلها ، وتساءل مرتجفًا عن عدد الرجال الذين يطاردونهما ، و ...

وفجأة ، هتفت (منى) :

- يا إلهى !

استدار إليها بسرعة ، ورآها تنحرف بالسيارة إلى

أقصى اليسار ، فى محاولة لتفادى الارتطام بقافلة صغيرة من النساء ، يدفعن أمامهن تمثالاً ضخمًا ، من تماثيل المهرجان .

وصرخت النساء ..

وانحرفت (منى) بالسيارة أكثر وأكثر ..

ولكن الشارع كان أضيق مما ينبغى ..

لذا فقد حدث الارتطام ..

لم ترتطم بواحدة من النساء ..

ولا بالتمثال الضخم ..

وإنما ارتطمت بجدار المنزل المجاور ..

ارتطم به جانب سيارتها فى قوة ، وواصلت السيارة اندفاعها إلى الأمام ، وانطلقت من جانبها شرارات نارية عنيفة ، مع صوت احتكاك مخيف ، امتزج بصرخات النساء ، وصرير إطارات السيارة ، وسيارة (كوادروس) ، التى ضغط هذا الأخير فراملها بأقصى قوته ، و (قدرى) يحمى وجهه بذراعيه ، صائحًا :

ـ الرحمة يا إلهى ! الرحمة ..

والعجيب أن كل هذا لم يستغرق سوى ثوان

معدودات ، توقَّفت بعدها سيارة (منى) ، وقد التصق جانبها الأيسر بالجدار ، فى حين واصلت النسوة صراخهن ، وهتف (كوادروس) ، وهو يستلّ مسدسه الضخم ، ويثب خارج سيارته :

ـ عظيم .. القدر أوقعهما فى قبضتى .

قالها ، وهو ينقضّ على سيارة (منى) ، ويفتح الباب المجاور لـ (قدرى) ، هاتفًا فى صرامة :

ـ هيّا .. غادرا تلك الـ .....

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى المسدس الصغير ، الذى صوَّبته إليه (منى) ، ثم هتف ، وهو يتراجع بسرعة :

ـ اللعنة !

ومع تراجعه ، انطلقت رصاصاتها ..

ولكن (كوادروس) تحرَّك بسرعة مدهشة ، فألقى نفسه أرضًا ، وأطلق ثلاث رصاصات نحو السيارة ، فارتفعت آهة ألم من (قدرى) ، قبل أن يهتف :

ـ لقد أصابنى الوغد .

شعرت (منى) بتوتر شديد ، فى هذا الموقف الحرج ، فباب السيارة المجاور لها ، ملتصق بالجدار،



بتر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق فى المسدس الصغير ، الذى صوَّبته إليه (منى) ، ثم هتف ، وهو يتراجع بسرعة : ـ اللعنة ! ..

و (قدرى) يسدّ الطريق إلى الباب الآخر بجسده الضخم ، وبالإصابة بتلك الرصاصة ، التى غاصت فى فخذه ، وذلك الضخم حرٌ الحركة فى الخارج ، وفى قبضته مسدس ضخم قوى ..

وفى الوقت نفسه ، لم يضع (كوادروس) لحظة واحدة ..

لقد وثب واقفًا على قدميه بسرعة ، وانطلق يعدو عائدًا إلى سيارته ، وهو يطلق رصاصات أخرى نحو سيارة (منى) ، ويهشّم زجاجها الخلفى ، ومرآتها الجانبية اليمنى ، وينسف الإطارين الخلفيين ..

وصاح (قدرى) فى هلع :

ـ لقد وقعنا فى المصيدة .

لم يكن لدى (منى) ما تجيب به عليه ، فجذبت رأسه إلى أسفل فى قوة ، ثم تحركت فى سرعة ، لتنتقل من المقعد الأمامى إلى المقعد الخلفى ، فى نفس الوقت الذى وثب فيه (كوادروس) داخل سيارته والتقط مسماع جهاز لاسلكى محدود داخلها ، وهتف :

ـ لقد اشتبكت مع الخصم .. أريد إمدادات عاجلة .. نحن داخل الشارع السابع ، المتفرّع من طريق (بوليفار) .. أسرعوا .

ومع آخر حروف كلماته ، لمح (منى) تثب إلى المقعد الخلفى ، فصاح فى شراسة ، وهو يطلق نحوها رصاصات مسدسه :

- لا تحاولى أيتها المتحذلقة .

أصابت رصاصاته جسم السيارة ، وعبرت بعضها النافذة الخلفية المحطمة ، لتخترق الزجاج الأمامى أيضًا ، فبرزت (منى) فى سرعة ، وضغطت زناد مسدسها ، و ...

ولم تنطلق منه رصاصة واحدة ..

وفى ارتياع ، حدّقت فى المسدس ، هاتفة :

- إنه لم يكن يحوى سوى رصاصة واحدة .

أجابها (قدرى) ، وجسده كله يرتجف فى هلع :

- إنها رصاصة من البلاستيك ، تأتى مع المسدسات الجديدة للاختبار ، أما باقى الرصاصات ، فما زالت فى الحقيبة .

اتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تقول :

- هل تعنى أن ...

لم تستطع إتمام عبارتها ، مع غصة مؤلمة أغلقت حلقها ، واتسعت عيناها فى شدة ، عندما رأت (كوادروس) يبرز من سيارته ، هاتفًا :

- لماذا لم تطلقى النار أيتها البارعة ؟! هل نفدت رصاصاتك أم ماذا ؟!

أحنقها أن أدرك الحقيقة بهذه السرعة ، وتساءلت عما يمكن أن تفعله ، فى مثل هذه الظروف ، و ...

ولكن (كوادروس) لم يمنحها الفرصة حتى للتفكير ..

لقد نطق عبارته ، واندفع نحو السيارة ، يفرغ فيها ما تبقّى من رصاصات مسدسه ..

وانحنت (منى) مرغمة ، لتعبر رصاصات (كوادروس) فوق رأسها ، وفوق رأس (قدرى) ، الذى هتف :

- ربّاه ! الآن فقط أدركت ، كم كان من الحماقة أن نأتى إلى هنا ، ونحن بهذا الحال .. لا ريب فى أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، فوجئ بقبضة (كوادروس) تقبض على ياقته ، ثم تجذبه خارج السيارة بحركة حادة عنيفة ، وهذا الأخير يقول فى شراسة :

- قل لى أيها البرميل الفارغ .. ألا تمتلك بدورك مسدسًا فارغًا ، أم أنك تحارب أعداءك بكرشك الضخم هذا .

اتسعت عينا (منى) فى دهشة بالغة ، وهى تحدق فيما حدث ..

فعلى الرغم من حجم (قدرى) وبدانته ، انتزعه (كوادروس) من مقعده فى بساطة ، ودفعه أمامه فى قوة ، حتى ارتطم ظهره بتمثال المهرجان الضخم ..

كان ذلك الشارع الجانبى الصغير قد خلا تمامًا ، مع هروب النسوة ، وإطلاق النيران ، لذا فقد دوت فيه صرخة الألم ، التى أطلقها (قدرى) قوية عنيفة ، على نحو جعل (منى) تنسى كل ما تشعر به من ألم ، وتثب خارج السيارة ، مندفعة نحو (كوادروس) ، الذى استدار يواجهها فى وحشية ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ..

ووثبت نحوه (منى) ..

هى نفسها لم تصدق ما فعلته ، عندما قفز جسدها فى الهواء ، واندفع نحوه ، لتضربه قدمها اليسرى فى وجهه مباشرة ، وتركل قدمها اليمنى المسدس من يده .

وتراجع (كوادروس) فى عنف ، مع قوة الضربة ، إلا أنه لم يلبث أن استعاد توازنه فى سرعة ، وانقض بكل قوته على (منى) ، هاتفًا :

ـ كيف تجرؤين ، أيتها الـ ...

قبل أن يكمل قوله ، كان (قدرى) ينقض عليه من الخلف ، ويتعلق بعنقه ، صائحًا :

ـ لن تمس شعرة واحدة منها أيها الوغد ..

ارتفع حاجبا (منى) فى دهشة ، مع تلك المبادرة من (قدرى) ، ولكنها لم تشأ إضاعة لحظة واحدة ، فوثبت نحو (كوادروس) ، ولكمته بكل قوتها ، فى معدته وفكه ..

وزمجر (كوادروس) مرة أخرى كوحش كاسر ، ثم أدار يده خلف ظهره ، وقبض على عنق (قدرى) الضخم ، ثم جذبه بقوة رهيبة ، جعلت هذا الأخير يطلق شهقة ذعر ودهشة ، عندما وجد جسده يطير فى الهواء ، ثم يسقط أرضًا فى عنف ، عند قدمى (منى) ، التى اختل توازنها فى حدة ، وهى تتراجع بقفزة خلفية ، محاولة تفادى ارتطام جسد (قدرى) الضخم بها ، فسقطت على ظهرها أرضًا ، وانطلقت منها آهة ألم قوية ..

• وفى نفس لحظة سقوطها ، وثب (كوادروس) إلى الأمام ، والتقط مسدسه الملقى أرضًا ، ثم رفعه

نحو (منى) و (قدرى) ، وهو يقول فى سخرية ظافرة :

ـ لا أحد ينتصر على (كوادروس) قط .

اتسعت عينا (قدرى) فى ارتياع ، وهتف :

ـ لا .. لا .

أما (منى) ، فقد انعقد حاجباها فى شدة ، وتعلّقت عيناها بفوهة المسدس القاتلة ، المصوّبة إليهما ، والتى تحمل لهما مصيرًا واحدًا ..

الموت ..

وبلا رحمة .

* * *



٤ ـ العودة ..

تطلّع الجنرال (دوايت) فى دهشة ، إلى البطاقة التى قدّمها إليه ضابطه ، وبدت عليه الحيرة بضع لحظات ، قبل أن يسأل الضابط ، فى لهجة تحمل شيئًا من القلق :

ـ وماذا يريد مفتش شرطة فيدرالى منا ؟! لماذا يطلب مقابلتى ؟!

أجابه الضابط فى احترام :

ـ إنه يرفض الإفصاح يا سيّدى الجنرال ، ولكنه يؤكّد أن لديه مبررات رسمية لهذه المقابلة .

تراجع الجنرال (دوايت) فى دهشة أكبر ، قائلاً :

ـ مبرّرات رسمية ؟! أية مبررات تلك ، التى تدفع مفتش شرطة فيدرالى لمقابلة جنرال فى الجيش .

هزّ الضابط رأسه ، قبل أن يجيب :

ـ طبقًا للقانون ، لا توجد أية علاقة رسمية ، بين رجال الشرطة الفيدرالية والجيش ، إلا بخصوص

الجرائم غير العسكرية ، التى تحدث داخل ثكنات الجيش ، أو التى يرتكبها ، أو يتعرَّض لها أفراد من الجيش ، داخل وخارج نطاق التعاملات العسكرية(★).

التقى حاجبا الجنرال ، وهو يقول فى توتر :

- أتعنى أنه لو ارتكبتْ جريمة ما هنا ، فمن الممكن أن تتدخَّل الشرطة لحلّها ، داخل ثكناتنا ؟!

أومأ الضابط برأسه ، مجيبًا :

- لو أنها ليست جريمة عسكرية محضة يا سيِّدى الجنرال .

ازداد انعقاد حاجبى الجنرال فى شدة ، ونهض من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتحرَّك داخل الحجرة فى صمت ، ثم التقط البطاقة مرة أخرى ، وتمتم محدثًا نفسه :

- المفتش (بيكسبى) .. آه .. فليكن .. دعنا نرى ما يريده ، بدلاً من أن نضرب أخماسًا فى أسداس .

والتفت إلى الضابط ، وهو يشدّ قامته ، ويكمل فى حزم :

(★) حقيقة : (فى الولايات المتحدة وحدها)

- دعه يدخل .

قالها ، وعاد ليجلس خلف مكتبه فى فخامة ، وتطلَّع إلى الباب ، حتى دلف عبره المفتش (بيكسبى) ، الذى بدا له أطول من اللازم ، وهو يحنى رأسه ليتطلَّع إليه ، قائلاً :

- المفتش (بيكسبى) يا سيِّدى الجنرال .

أشار إليه (دوايت) بالجلوس ، قائلاً بلهجة قوية ، تناسب جنرالاً فى الجيش الأمريكى :

- تفضَّل أيها المفتش ، وأخبرنى ماذا لديك بالضبط .

أدار المفتش (بيكسبى) رأسه فى بطء ، ليلقى نظرة على الضابط ، الذى رافقه إلى الحجرة ، ثم أجاب فى حزم مهذَّب :

- كنت أفضِّل أن نتحدَّث وحدنا يا جنرال .

بدا التوتّر على الضابط ، الذى لم يرق له ما قاله المفتش ، فتطلَّع إلى الجنرال فى شىء من العصبية ، إلا أن هذا الأخير أشار له ، قائلاً بلهجة آمرة :

- اتركنا وحدنا .

تضاعف توتر الضابط وضيقه ، فالتفت إلى المفتش

محاولاً تفتيشه ، إلا أن المفتش (بيكسبى) ابتسم فى سخرية ، قائلاً :

- إلى هذا الحد ؟!

أجابه الضابط فى خشونة :

- إنها إجراءات الأمن .

اتسعت ابتسامة (بيكسبى) الساخرة ، على نحو استفزَّ الجنرال (دوايت) ، فقال لضابطه فى صرامة :

- لا داعى لهذا .. اتركنا وحدنا فحسب .

اعتدل الضابط على الفور ، وقال فى احترام بالغ ، تشوبه نبرة ضيق واضحة :

- أمرك يا جنرال .

قالها ، وأدّى التحية العسكرية فى قوة ، ثم غادر الحجرة فى خطوات واسعة سريعة ، وأغلق الباب خلفه فى رفق ، ولم يكد يفعل ، حتى سأل الجنرال (بيكسبى) فى اهتمام :

- ماذا لديك أيها المفتش ؟!

التقط (بيكسبى) نفسًا عميقًا ، وقال :

- الواقع أننى أحمل لك خبرًا سيئًا إلى حد ما يا جنرال .

تمتم الجنرال ، فى قلق بالغ :

- سيئًا ؟!

أومأ (بيكسبى) برأسه إيجابًا ، ولوَّح بيده ، على نحو لا يعنى شيئًا محدودًا ، وهو يقول بلهجة خاصة :

- مساعدك الكولونيل (ألكسندر) .

اعتدل (دوايت) فى مجلسه ، وقال فى قلق شديد :

- ماذا أصابه ؟!

أشار (بيكسبى) إلى جبهته ، وصنع من أصابعه ما يشبه مسدسًا مصوبًا إليها ، وهو يجيب :

- قُتِلَ .

اتسعت عينا الجنرال ، وانتفض جسده انتفاضة خفيفة ، وهو يكرِّر :

- قُتِلَ ؟!

أومأ (بيكسبى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- عثر عليه صديق له ، منذ عدة ساعات فى منزله ، مصابًا برصاصة فى مؤخرة عنقه .

كرَّر الجنرال فى دهشة بالغة :

- فى مؤخرة عنقه ؟!

مال (بيكسبى) نحوه ، وهو يقول بلهجة عجيبة :

- خبراء الأدلة الجنائية يؤكدون أنه لم يُقتل فى منزله ، وإنما تم إطلاق النار عليه فى مكان آخر ، ثم نقله بعضهم إلى منزله ، فى محاولة لإخفاء الأمر .

انفرجت شفتا الجنرال ؛ ليقول شيئًا ما ، ولكن (بيكسبى) اعتدل ، مكملاً فى سرعة :

- ولكن هذا لا يهمّ كثيرًا .. لقد اعتدنا عمليات التمويه هذه ، وسنتعامل مع الأمر كما نفعل مع أية قضايا قتل أخرى .

سأله الجنرال (دوايت) فى عصبية :

- ما المهم إذن ؟!

أجابه (بيكسبى) بسرعة :

- المهم أن قاتله ، أو قاتليه ، قد فتشوا منزله فى عناية بالغة ، وكأنهم يبحثون عن شىء ما .

قال الجنرال فى توتر بالغ :

- كل اللصوص يفعلون هذا .

ارتسمت على شفتى (بيكسبى) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- بالتأكيد .. لقد استولى القاتل ، أو القتلة ، على كل ما عثروا عليه من نقود ، أو أشياء ثمينة بالفعل ،

ولكن هذا لم يخدعنا ، فقد انتبه خبراؤنا بسرعة ، إلا أن كل هذا كان بغرض التمادى فى التمويه فحسب ، ومحاولة إقناعنا بأن القتل قد حدث فى المنزل ، بغرض السرقة .

سأله الجنرال فى عصبية :

- وكيف كشف خبراؤكم الأفذاذ هذا ؟!

أجابه (بيكسبى) ، وهو يلوّح بكفه فى بطء :

- لست أدرى بالتحديد ، فهى أمور فنية للغاية ، ولكننى أعتقد أنها تتعلّق بتحديد لحظة الوفاة ، والآثار التى توجد على الجسم ، من أثر جرّه أو تحريكه ، مع درجة تخثُّر الدم ، والزرقة الرمية ، وتلك الأمور الأخرى ، التى يجيدها هؤلاء الخبراء ، ولكن الشىء الواضح للغاية ، هو أنه على الرغم من الرصاصة ، فى مؤخرة عنقه ، لم نجد قطرة دم واحدة فى المنزل كله .

التقى حاجبا (دوايت) فى شدة ، وهو يتمتم :

- آه .. فهمت ..

ثم سأل ، مستعيدًا عصبيته :

- ولكن ما علاقة هذا بنا ؟! أعنى من الناحية الرسمية .

لم ترق له ابتسامة (بيكسبى) ، وهو يشير بسبَّابته ، قائلاً :

- آه .. هنا نأتى لنقطة التماس .

وجلس على أوَّل مقعد صادفه ، مكملاً :

- عندما فحصنا منزل الكولونيل (ألكسندر) ، عثرنا على عدد محدود من البصمات ، مما يوحى بأنه ليس شخصية اجتماعية ودودة ، ولكن أكثر ما أثار انتباهنا ، هو أن تلك البصمات المحدودة ، كانت تضمّ بصمات اثنين أحدهما يُدعى (سواتر) ، والآخر (كاندى) ، وكلاهما من أخطر مجرمى هذا العصر .. ليس لأنهما لصان وقاتلان فحسب ، ولكن لأن عملهما الرئيسى الآن يثير اهتمامنا وقلقنا بشدة .

أطلّت نظرة متسائلة ، من عينى الجنرال (دوايت) ، فتابع (بيكسبى) على الفور :

- إنهما صانعا أسلحة .

سأله الجنرال فى حذر قلق :

- وماذا فى هذا ؟!

هزَّ (بيكسبى) كتفيه ، وقال :

- أعلم أن بلادنا تضمّ أكبر صنّاع السلاح فى العالم

يا جنرال ، ولكن (سواتر) و (كاندى) ليسا منهم .. إنهما يعملان لحسابهما ، ودون تراخيص رسمية ، مما يجعلهما قادرين على بيع أسلحتهما لمن يدفع الثمن ، بغضّ النظر عن الانتماء أو الجنسية ، أو حتى الهدف من شراء السلاح .

قال الجنرال فى سخرية عصبية :

- وهل تختلف كثيرًا أهداف شراء الأسلحة ؟!

أجابه (بيكسبى) فى حزم :

- بالتأكيد .. هناك أسلحة تستخدم للهجوم ، وأخرى للدفاع ، وثالثة للحماية .

قال الجنرال بنفس السخرية العصبية :

- حقًّا ؟!

أدرك (بيكسبى) ما يرمى إليه الجنرال ، فابتسم ، ولوَّح بذراعه ، قائلاً :

- فليكن .. سنقول إن أهداف شراء الأسلحة متشابهة ، مهما كانت الأحوال ، ولكن هذا أيضًا ليس المهم ..

سأله الجنرال فى حدة وعصبية :

- ما المهم إذن ؟! وقوفك هنا تتحدَّث إلىَّ ، بهذا التطويل السخيف المهم ؟!

أجابه المفتش فى صرامة :

ـ كلاً يا جنرال .. المهم هو أن الكولونيل (ألكسندر) مسئول رسميًا عن متابعة تطوير عدد من الأسلحة الجديدة ، وعندما يقدم صانعا أسلحة ، مثل (سواتر) و (كاندى) على قتله ، وتفتيش منزله بمنتهى الدقة ، فهذا يقودنا فورًا إلى احتمال مخيف ، وهو أن يكون جيشنا الهمام قد فقد أسرار أو تصميمات أحد ، أو بعض أخطر أسلحتنا .

انتفض جسد الجنرال فى عنف ، وهبَّ من مقعده ، وهو يمسك حافة مكتبه بمنتهى القوة ، حتى كادت أصابعه تغوص فيها ، وحدَّق فى وجه (بيكسبى) بضع لحظات ، وارتجفت شفتاه ، وهو يتمتم :

ـ ماذا تقول يا رجل ؟!

أجابه (بيكسبى) فى حزم :

ـ ما سمعته يا جنرال .

انتقلت الارتجافة إلى جسد الجنرال كله ، وهو يقول :

ـ كلاً أيها المفتش .. هذا لا يمكن أن يحدث ؛ فلدينا هنا نظام محكم دقيق ، يمنع تسرُّب تصميمات الأسلحة السرية ، بأية وسيلة كانت .

سأله (بيكسبى) فى هدوء :

ـ هل تعتقد هذا يا جنرال ؟

صاح الجنرال (دوايت) فى انفعال :

ـ بكل تأكيد أيها المفتش .. الجميع هنا .. وأقصد الجميع بلا استثناء ، يخضعون لتفتيش دقيق ، بكل الوسائل اليدوية والإليكترونية الممكنة ، عند خروجهم من هنا ، وتصميمات الأسلحة كلها محفوظة فى خزانة إليكترونية خاصة ، لا يمكن فتحها إلا بوساطتى شخصيًا ، أو ...

قاطعه (بيكسبى) فى حزم :

ـ أو بوساطة الكولونيل (ألكسندر) .

اتسعت عينا (دوايت) فى ارتياع ، وتراجع فى بطء كالمصعوق ، وهو يحدِّق فى وجه المفتش ، ثم لم يلبث أن هتف فى حدة :

ـ من المستحيل أن يفعل (ألكسندر) هذا .

تنهَّد المفتش ، وقال :

ـ ربما يا جنرال .. ربما ..

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ ولكن هل لك أن تفسِّر لى ، لماذا كان الكولونيل

(ألكسندر) يستخدم جهاز (المودم)(*) ، المتصل بكمبيوتر التصميمات العسكرية ، لنقل بعض المعلومات إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بمنزله ، لمدة ساعة يوميًا ؟!

اتسعت عينا (دوايت) فى ذعر ، وهتف :

- مستحيل ! كيف .. كيف عرفتم هذا ؟!

هزَّ (بيكسبى) رأسه ، وقال :

- أنا مجرَّد مفتش شرطة فيدرالى يا جنرال .. أنفذ فقط ما يأمرنى به رؤسائى ، ولست أدرى كيف يتصرَّف الخبراء فى الإدارة ، ولا كيف يحصلون على مثل هذه المعلومات ، ولكن من الواضح أنهم يجيدون عملهم إلى أقصى حد .

تراجع (دوايت) ، ليسقط على مقعده ، مغمغمًا :

- بالتأكيد .

(*) المودم : وسيط هاتفى خاص ، يربط أجهزة الكمبيوتر ببعضها البعض ، ويسمح لكل جهاز كمبيوتر مزوَّد به ، بنقل أو استقبال المعلومات ، من أى جهاز كمبيوتر آخر ، يحوى وسيطًا هاتفيًا مشابهًا أو من أية نوعية أخرى ، عن طريق أسلاك الهاتف .

وفى بطء ، رفع يده ، ليسند إليها رأسه ، الذى بدا له أثقل من مصنع للحديد والصلب ، وعقله ينطلق فى كل الاتجاهات ، ويبحث عشرات الاحتمالات ، و ...

« أعتقد أن الأمر يحتاج إلى مراجعة دقيقة يا جنرال .. »

دوت عبارة المفتش فى رأس الجنرال ، كألف ألف مطرقة ، فرفع عينيه إليه فى بطء ، وتمتم بصوت مبحوح :

- بالتأكيد أيها المفتش .. بالتأكيد .

نطقها ، وعقله وأفكاره كلها تدور حول سلاح واحد ، كانت له الأولوية ، فى الأيام القليلة الماضية .

ذلك السلاح ، الذى يحمل اسمًا متميِّزًا ..

اسم مشروع خاص ..

مشروع (السوبرمان) ..

* * *

« لو أننى فى موضعك ، لما استخدمت هذا السلاح أيها الوغد .. »

انطلقت العبارة بغتة ، فى ذلك الشارع الضيق ، فى قلب (ريو دى جانيرو) ، فشهق (قدرى) فى قوة ،

واتسعت عينا (منى) عن آخرهما ، وخفق قلبها فى عنف ، فى حين استدار (كوادروس) فى سرعة ، إلى موضع الصوت ، وهو يدير فوهة مسدسه إليه ، و ....

وكانت المفاجأة عنيفة للغاية ..

وفى نفس اللحظة ، التى صرخت فيها (منى) :

- (أدهم) ؟!

كان هذا الأخير يثب فى خفة مدهشة ، ويركل المسدس من يد (كوادروس) ، قبل أن يفيق من ذهوله ، وهو يقول فى سخرية ، مكملاً عبارته :

- فمن السهل أن تفقده .

اعتدل (قدرى) ، هاتفًا ، فى سعادة غامرة :

- يا إلهى ! إنه (أدهم) .

ارتجف جسد (منى) بأكمله ، من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، وهى تحدّق فى (أدهم) ، الذى هبط على قدميه ، وركل مسدس (كوادروس) إلى آخر الشارع ، قائلاً فى سخرية :

- عجبًا ! هل أدهشك وجودى على قيد الحياة أيها الوغد ؟! هل تصورتم أن القضاء علىّ أمرًا سهلاً ؟!

حدّق (كوادروس) فيه لحظة فى ذهول ، لم يلبث أن نفضه عن نفسه فى سرعة ، وهو يتخذ وقفة قتالية ، ويزمجر فى وحشية ، قائلاً :

- لست أدرى كيف نجوت من كل ما حدث يا هذا ، ولكنك ستدرك الآن أن (كوادروس) أكثر خطورة من (كوهيدور بيليجرو) .

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول ساخرًا :

- حقًا ؟! .

أطلق (كوادروس) زمجرة أخرى مخيفة ، تردّد صداها فى الشارع كله ، وهو ينقضّ على (أدهم) كوحش كاسر ..

ومرة أخرى ، انتفض قلب (منى) فى عنف ..

إنها تدرك ما واجهه (أدهم) ، منذ بضع ساعات فحسب ..

وتعلم بأمر إصاباته السابقة ..

تلك الإصابات العنيفة ، عند مواجهته للسنيورا فى (المكسيك)(*) ..

(*) راجع قصة (الأفعى) .. المغامرة رقم (١٠٦)

وإصابات مواجهتـه لفريق (النينجا) الأسود فى (اليابان)(★) ..

وقتالـه العنيف مـع الطبيعـة ، فـى (كوهيـدور بيليجرو)(★★) ..

ثم استعاد ذهنها مشهد (كوادروس) ، وهو ينتزع (قدرى) من السيارة ، كما لو أنـه يجذب دمية صغيرة ..

وتلك اللحظة ، التى جذب فيها (قدرى) بيد واحدة ، وألقاه أرضًا ..

وهوى قلبها بين قدميها ..

لا ..

لن يتمكّن (أدهم) ، فى حالته هذه ، من مواجهة وحش آدمىٍ كهذا قط ..

لن يتمكن أبدًا ..

دارت كل هذه الأفكار فى رأسها ، فى جزء من الثانيـة ، و (كـوادروس) ينقضّ على (أدهم) ،

(★) راجع قصة (اغتيال) .. المغامرة رقم (١١٠)

(★★) راجع قصة (ممر الجحيم) .. المغامرة رقم (١١٤)

مطلقا صرخـة وحشية رهيبـة ، وهذا الأخير مـا زال يعقد ساعديه أمام صدره ، و ...

وفجأة ، وقبل أن يصل (كوادروس) إلى خصمه ، تفرَق سـاعد (أدهـم) بسـرعة مذهلـة ، وانطلقت قبضته اليمنى كالقنبلة ، لتنفجر فى فك (كوادروس) ، فى حين وثبت قدمـه اليسرى ، فـى اللحظـة نفسـها ، لتغوص فى معدته ..

كانت حركة مزدوجة قوية ، بالغة السرعة والعنف ، باغتت (كوادروس) ، الذى أطلق صرخة ألم قويـة ، وتراجع فى حدة ، ثم هتف فى غضب هادر :

ـ لا .. لا يمكنك أن تفعل هذا بـ (كوادروس) .

ووثب مرة أخرى نحو (أدهم) ، الـذى مـال جانبًا فى رشاقة مدهشة ، متفاديًا تلك الانقضاضة العنيفة ، ثم دار حول نفسه فى خفة ، ليتجاوزه (كوادروس) ، والتقط معصم هذا الأخير فى اللحظة المناسبة ، ليديره خلف ظهره ، ثم يقفز ليركله بقدمه اليسرى فى فكه ، ويلحقها باليمنى فى أنفه ، فى جزء من خمسة أجزاء من الثانية ..

وصـرخ (كـوادروس) فى ألـم وغضـب ، عندما



وانطلقت قبضته اليمنى كالقنبلة ، لتنفجر فى فك (كوادروس) ، فى حين وثبت قدمه اليسرى ، فى اللحظة نفسها ، لتغوص فى معدته . .

تفجَّرت الدماء من أنفه وفمه ، وحاول أن يستدير ليواجه (أدهم) ، الذى استقبله بلكمة ساحقة فى معدته ، ثم قفز إلى أعلى ، ودار حول نفسه دورة أفقية ، قبل أن يركله فى عنقه ركلة رهيبة ، تراجع معها الضخم فى عنف ، ليرتطم بالجدار المجاور ، وعندما ارتدّ عنه ، استقبلته ثلاث لكمات متتالية ، بالغة السرعة والقوة ، فى فكه وأنفه وجبهته ..

وترنَّح (كوادروس) ، وهو يحدِّق فيه ذاهلاً ، ويغمغم :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن ...

قاطعه (أدهم) فى سخرية :

ـ ما الذى لا يمكن يا ملك الحمقى ؟!

ومع عبارته ، انطلقت قبضته اليمنى كالقنبلة ؛ لتنسف ما تبقَّى من أنف (كوادروس)، الذى اتسعت عيناه عن آخرهما ، ثم هوى فاقد الوعى، عند قدمى(أدهم) .

ولثوان ، ران على الشارع الضيق صمت رهيب ، و (منى) و (قدرى) يحدقان فى (أدهم) ذاهلين ، غير مصدقين ما فعله منذ لحظات ، حتى التفت إليهما ، وسألهما فى هدوء :

- أأنتما بخير ؟!

نسفت كلماته الهادئة ذلك الصمت ، فوثبت (منى) من مكانها ، واندفعت نحوه ، هاتفة :

- (أدهم) .. (أدهم) .

قبل حتى أن تفكر فيما تفعله ، وجدت نفسها بين ذراعيه ، اللتين احتويتا جسدها فى رقة وحنان ، وهو يهمس فى أذنها :

- نعم يا حبيبتى .. هو أنا .

تنحنح (قدرى) فى حرج ، فانتبهت إلى الأمر ، وانتزعت نفسها من بين ذراعيه فى توتر ، هاتفة :

- ولكن .. ولكنك استعدت كامل لياقتك .

وغمغم (قدرى) فى سعادة بالغة :

- بل عدت أفضل مما كنت .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- هذا صحيح يا صديقى العزيز .. إننى لم أشعر فى حياتى قط ، بأننى أفضل مما أنا عليه الآن .

قالت (منى) ، وقلبها يخفق فى قوة :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .. كنت أخشى أن يهزمك ذلك الممر .

صمت لحظة ، قبل أن يقول :

- الواقع أنه كاد يفعل يا عزيزتى .

قالت فى ارتياح ، وبصوت حمل كل لهفتها وحبها :

- ولكنك هنا والحمد لله (سبحانه وتعالى) .

تنهّد فى عمق ، مغمغمًا :

- إنها قصة طويلة يا عزيزتى .. طويلة وعجيبة للغاية .

سأله (قدرى) فى لهفة :

- ولكن أين (جيهان) ؟!

أدار (أدهم) عينيه إليه فى صمت ، ثم لم يلبث أن قال :

- سأشرح لكما كل شىء فى الطريق .. لقد أخبرتكما أنها قصة طويلة وعجيبة بالفعل .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تناهى إلى مسامعهم دوى أبواق سيارات الشرطة ، فتابع فى حزمٍ صارم :

- دعونا نبتعد عن هنا ، قبل أن تتعقد الأمور أكثر ، و ...

قاطعه صوت حازم ، يقول فى برود مخيف ، وبلغة عربية ركيكة :

ـ ربما تعقّدت بالفعل يا سيِّد (أدهم) .

التفت الثلاثة بسرعةً إلى مصدر الصوت ، وانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يتطلّع إلى وجه (يورى أندروفيتشى) ، الذى وقف يسدّ مدخل الشارع ، مع خمسة من رجاله ، يصوبون إليهم مدافعهم الآلية ، التى يطلّ منها ذلك الشىء ، الذى يبث الرعب فى قلوب أشجع الرجال ..

الموت ..

★ ★ ★

لو أن ظهور (يورى أندروفيتشى) ، فى تلك اللحظة ، كان مفاجأةً لـ (أدهم) ، فمن المؤكَّد أن (أدهم صبرى) كانت أشبه بالصاعقة ، بالنسبة للروسى نفسه ، حتى أنه لم يصدِّق عينيه فى البداية ، وكاد يصرخ من فرط الانفعال ، لولا أن استنفر ذلك البرود المتناهى ، الذى اكتسبه من طول عمله فى المخابرات السوفيتية ، والذى استقرّ فى وجدانه ، وصار جزءًا من تكوينه الشخصى ، ليحافظ على تماسكه ، وهو يواجه ذلك الموقف ..

وحتى بعد أن بدأت المواجهة فعليًا ، والتقت عيناه

بعينى (أدهم) ، كان (أندروفيتشى) يتمنى لو أن كل هذا مجرَّد كابوس ، لن يلبث أن يستيقظ منه ، ليجد أن (أدهم صبرى) قد لقى مصرعه ، فى (كوهيدور بيليجرو) ، ولم يعد له وجود حقيقى ، فى عالم الأحياء ..

ولكنه ، كرجل واقعى ، استوعب الموقف فى لحظات ، على الرغم من دهشته ، وحنقه ، وعشرات التساؤلات الحائرة ، التى تفجَّرت فى أعماقه ، ورمق (أدهم) بنظرة باردة طويلة ، قبل أن يقول :

ـ من الواضح أن (بيليجرو) لم ينجح فى هزيمتك يا سيِّد (أدهم) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ أراهن أن هذا قد أحنقك يا عزيزى (يورى) .. أليس كذلك ؟!

صمت (أندروفيتشى) بضع لحظات ، ليسيطر على تلك الثورة فى أعماقه ، قبل أن يقول :

ـ لقد أدهشتنى فى الواقع أيها المصرى ؛ فليس من الطبيعى أن يفلت بشرى من عاصفة رهيبة كهذه ، مهما بلغت قوته ، ثم يقاتل كالوحش ، وينجو من

انفجار فى كهف جبلى ، وبعد كل هذا يعود بكامل لياقته ، ليهزم (كوادروس) على هذا النحو .

لم يفهم (قدرى) كلمة واحدة ، من ذلك الحديث ، الذى تبادله (أدهم) مع (أندروفيتشى) باللغة الروسية ، فراح ينقل بصره بينهما فى توتر بالغ ، وهو يمسك فخذه ، التى استقرَّت فيها الرصاصة ، وراحت تؤلمه بشدة ، وتسيل منها الدماء ، فى حين أمسكت (منى) ذراع (أدهم) ، وكأنها تحتمى به ، وتحاول حمايته فى الوقت ذاته ، وأخذت ترمق (أندروفيتشى) ورجاله بنظرات عصبيةً متوترة ، انتقلت إلى أصابعها ، فشعر (أدهم) بما يعتمل فى نفسها ، وربَّت على يدها فى رفق ، وهو يقول فى هدوء ، يحمل رنةً ساخرة :

- ربما لا يمكنك بعد استيعاب ما تفعله الطبيعة يا رجل .

صمت (أندروفيتشى) لحظة أخرى ، قبل أن يقول :

- ربما يا سيِّد (أدهم) .. ربما .

تراجع (أدهم) فى بطء ، نحو ذلك التمثال الضخم ، فابتسم (أندروفيتشى) فى سخرية ، وقال :

- لا تحاول يا سيِّد (أدهم) .. حتى لو افترضنا أنك ستنجح مع زميلتك ورفيقك البدين فى تفادى رصاصات رجالى ، فلا تتصوَّر أنك ستنجح فى الفرار من الناحية الأخرى للشارع .

قالها ، وهو يشير إلى الجانب الآخر ، فالتفت (أدهم) فى بطء ، ليتطلَّع إلى (لاماس) ، مع عشرة رجال آخرون ، يحملون أيضًا المدافع الآلية ، عند نهاية الشارع ، وهذا الأخير يشعل سيجارته ، قائلاً :

- هل نطلق النار مباشرة يا سنيور (أندروفيتشى) ؟!

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال ، وهو يلتفت مرة أخرى إلى الروسى :

- رائع .. إنه حصار من طرفين إذن .. يقولون فى بلادى : إن هذا يضعنا بين المطرقة والسندان .

أومأ (أندروفيتشى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالضبط يا سيِّد (أدهم) .

أشار (أدهم) بإبهامه ، قائلاً :

- ولكن ماذا عن رجال الشرطة ؟! إنهم فى الطريق إلى هنا .. هل تسمع دوى أبواق سياراتهم ؟!

ابتسم (أندروفيتشى) ، وقال :

- لا تدع هذا يقلقك يا سيِّد (أدهم) ؛ فالشوارع مزدحمة للغاية ؛ بسبب المهرجان ، وصديقنا المفتش (أورتيجا) سيبذل قصارى جهده ؛ لمنحنا كل ما نحتاج إليه من وقت ، قبل أن يصل إلى هنا .

بدا الحنق على وجه (لاماس) ، لعجزه عن فهم هذا الحديث ، الذى ما زال يدور بالروسية ، فكرَّر فى عصبية :

- هل نطلق النار يا سنيور (أندروفيتشى) ؟!

التقط الروسى نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

- أعتقد أنه لا يوجد أى مبرِّر لإضاعة الوقت .

ثم أشار بيده ، مستطردًا فى حزم :

- أطلقوا النار .

وقبل حتى أن تكتمل عبارته ، كانت فوهات المدافع الآلية كلها تتجه نحو (أدهم) ، و (منى) ، و (قدرى) ، و ...

وحانت لحظة مواجهة الموت ..

مباشرة .

* * *

٥ - العملاق ..

« (ن - ١) على قيد الحياة أيها السادة .. »

نطق مدير المخابرات عبارته ، فى ابتهاج واضح ، انتقل فى سرعة إلى الجميع ، فتألَّقت عيونهم ، وانفرجت أساريرهم ، وانطلقت منهم جميعًا عبارات تشفُّ عن الفرح والسعادة والارتياح ، فيما عدا الدكتور (محمد العفيفى) ، الذى تثاءب فى قوة ، وفرك عينيه ، بعد أن خلع منظاره الطبى ، ثم عاد يضعه على أنفه ، مغمغمًا فى إرهاق واضح :

- حقًّا ؟!

ارتسمت ابتسامة مشفقة على شفتى المدير ، وهو يتطلَّع إليه لحظة ، قبل أن يتابع ، مستعيدًا حماسه :

- رجال مكتبنا فى (ريو دى جانيرو) كانوا قد فقدوا الأمل فى عودته ، بعد انتهاء العاصفة ، والعثور على سيارته مسحوقة بأطنان من الصخور ، وخاصة بعد أن فتش رجال الشرطة الممر كله ، ولم يعثروا فيه سوى على جثث العديد من القتلى ،

ومرور أكثر من اثنتى عشرة ساعة ، دون أن يظهر (أدهم) أو (جيهان) .. ولكن فجأة ، على حد قولهم ، وجدوا العميد (أدهم) وسطهم فى المكتب ، فى كامل نشاطه وحيويته ، على الرغم من ملابسه الممزَّقة والجروح العديدة فى جسده ، وكل ما يطلبه حمام ساخن ، وحلة جديدة ، ومسدس من طراز (سميث ديسون) ، مع ثلاثة خزانات احتياطية .

سأله أحدهم فى اهتمام :

ـ وماذا عن (جيهان) ؟!

هزَّ المدير رأسه ، قائلاً :

ـ التقرير لم يحو كلمة واحدة عنها ، وهذا يعنى أنها إما لم تعد مع العميد (أدهم) لسبب ما ، أو ...

ولم يكمل العبارة ..

ولكن الجميع أدركوا ما يعنيه ..

وانقبضت قلوبهم فى ألم ..

ولثوان خيَّم عليهم صمت ثقيل ، قطعه المدير ، قائلاً :

ـ لا أحد يدرى أين كان (ن ـ ١) ، ولا ما الذى حدث خلال الساعات السابقة ، ولا حتى كيف استعاد كل

نشاطه وحيويته ، وكأنه لم يبذل أدنى جهد ، منذ عدة أيام ، ولكن المهم أنه عاد ، وسيواصل المهمة .

قال أحد الرجال فى حماس :

ـ رجالُ السنيورا مازالوا فى (ريو دى جانيرو) .

أشار إليه المدير بسبَّابته ، قائلاً :

ـ وهذا هو المطلوب ، فالعميد (أدهم) لم يتوصَّل إلى موقعها الفعلى بعد ، وهو يعتقد ، كما يوافقه خبراؤنا ، على أنها ليست فى (البرازيل) كلها ، وإنما هى فى مكان ما حولها ، بدليل أن رجالها وصلوا إلى (ريو) ، خلال ساعات معدودة ..

ثم التفت يشير إلى خريطة العالم الكبيرة ، متابعًا :

ـ فى (أورجواى) مثلاً ، أو (باراجواى) ، أو (بوليفيا) .. أو ربما فى (الأرجنتين) ، فى تلك المنطقة ، المحصورة بين حدود (باراجواى) ، و (البرازيل) ، و (أورجواى) .. هذه هى المناطق الثلاث ، التى يحتمل وجود وكرها النووى فيها .

سأله أحد الرجال فى اهتمام :

ـ ولماذا ليس فى (البرازيل) نفسها ؟! إنها دولة شاسعة ، مترامية الأطراف ، تمتدّ من خمس درجات ،

فوق خط الاستواء(*) ، وحتى اثنتين وثلاثين درجة تحته ، وبها عشرات المناطق ، التى تصلح لإنشاء وكر سرى ما .. نووى ، أو غير نووى .

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وقال :

- هذا صحيح .. (البرازيل) دولة ذات مساحة شاسعة للغاية ، ولكنها فى معظمها أحراش وغابات وأدغال ، وإقامة مفاعل نرى ، أمر لا يصلح على نحو جيد ، فى مثل تلك الأماكن ، طبقًا لما قرَّره الخبراء ، لذا فمن المحتم أن السنيورا قد أقامته فى منطقة صحراوية صخرية ، أو وسط الجبال .

رفع الدكتور (محمد) يده فى إرهاق ، فأدار المدير عينيه إليه ، وقال :

- هل ترغب فى إلقاء سؤال ما يا دكتور (محمد) ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، فتابع المدير فى اهتمام :

- هيَّا .. هات ما لديك .

(*) خط الاستواء : خط وهمى ، يطوّق الكرة الأرضية أفقيًا ، ويقع فى منتصف المسافة ، بين القطبين ، الشمالى والجنوبى ، ويعتبر خط العرض رقم صفر ، ومستواه عمودى على محور الأرض تمامًا .

تنحنح الدكتور (محمد) ، وتثاءب على الرغم منه ، وهو يعدِّل وضع منظاره الطبى فوق أنفه ، قبل أن يقول فى لهجة عجيبة ، جمعت ما بين الإرهاق والعصبية :

- ألا تنامون أبدًا ؟!

التفت إليه الجميع فى دهشة ، فتابع فى عصبية أكثر :

- إننا هنا منذ أكثر من عشر ساعات ، تناولنا خلالها عشرة أقداح من القهوة ، وعددًا من الشطائر الساخنة ، ولكننا لم نحظ بلحظة واحدة من النوم .. أخبرونى .. هل سنواصل هذا الأمر إلى الأبد أم ماذا ؟! لقد اجتمعنا من قبل ، وأنهينا الاجتماع ، وقبل أن أقنع جسدى بالاسترخاء على ذلك الفراش الصغير ، الذى وضعتموه فى حجرتى ، فوجئت بكم تدعوننى لاجتماع آخر ، لم ينفضّ حتى هذه اللحظة .

بدا التعاطف واضحًا ، فى عيون الجميع ، وقال المدير فى إشفاق :

- معذرة يا دكتور (محمد) .. لقد واصلنا العمل كالمعتاد ، دون أن ننتبه إلى أنك لست محترفًا فى هذا المضمار .

ردَّد الدكتور (محمد) فى دهشة :

- كالمعتاد ؟!

غادر المدير مقعده ، واتجه إليه ، وجذب مقعده فى رفق ، ليدعوه إلى النهوض ، مكملاً :

- تقبَّل اعتذارنا يا دكتور (محمد) .. لقد أرهقناك بشدة دون طائل .. هيا .. عد إلى حجرتك ، واحصل على ما شئت من النوم والراحة ، حتى نحتاج إلى استشاراتك الفنية .

قال الدكتور (محمد) فى ارتباك :

- ألنت واثق من أنكم لن ..

قاطعه المدير بابتسامة كبيرة :

- عندما نحتاج إليك ، سنرسل فى طلبك يا دكتور (محمد) .

أومأ الرجل برأسه متفهمًا ، وغادر حجرة الاجتماعات فى سرعة ، وهو يلقى التحية على الجميع ، الذين ردوا تحيته بابتسامة هادئة ، ولكنه لم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى تحوَّل المكان مرة أخرى إلى شعلة من النشاط ، فنهض أحد الرجال يراجع الخريطة الكبيرة ، ويتبادل الأحاديث مع رفاقه ، حول

مرتفعاتها ومنخفضاتها ، فى حين سأل رجل آخر المدير فى اهتمام بالغ :

- وماذا عن (منى) و (قدرى) ؟!

أجابه المدير ، فى شىء من الارتياح :

- (أدهم) يعلم الآن أنهما هناك ، وسيلتقى بهما حتمًا .. سيبحث عنهما ، كما يبحثان عنه .

سأله الرجل :

- وماذا بعد أن يلتقى ثلاثتهم ؟!

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول :

- ماذا تعنى ؟!

مال الرجل نحوه ، وهو يسأل فى اهتمام أكثر :

- أعنى ماذا لو أن وجودهما أعاق مهمته ، بدلاً من أن يساعده ؟!

ازداد انعقاد حاجبى المدير ، وهو يقول :

- لا أحد يدرى .. دع الأمور تسير وفقًا لمقدراتها ، وليفعل الله (سبحانه وتعالى) ما فيه الخير للجميع .

قالها بلهجة حازمة حاسمة ، ثم تراجع فى مقعده ، لائذًا بالصمت التام ، وعقله يكرِّر السؤال عشرات وعشرات المرات ..

نعم .. ماذا سيحدث ..
لو ؟!

★ ★ ★

عندما ارتفعت فوهات المدافع الآلية والمسدسات ، من جانبى الطريق ، نحو (أدهم) و (منى) و (قدرى) ، تصوَّر الأخيران أنها النهاية لا ريب ، وأن الرصاصات المنطلقة من الناحيتين ، سوف تحصدهم حتمًا ، و ...

ولكن فجأة ، انطلقت صرخة رهيبة ، ترج المكان كله ..

ثم ظهر ذلك العملاق ..

عملاق أسود ضخم الجثة ، هائل الحجم ، أطلق تلك الصرخة ، وهو ينقضّ بغتة على (أندروفيتشى) ورجاله الخمسة من الخلف ، فانعقد حاجبا هذا الأخير ، وانتفضت أجساد رجاله فى عنف ، وهم يستديرون جميعًا فى سرعة مدهشة ؛ لمواجهة ذلك الرعب الأسود ، الذى يهاجمهم من الخلف ..

ولكن ذلك العملاق ارتطم بهم فى قوة ، قبل أن يضغط أحدهم زناد مدفعه ، ودفعهم أمامه فى عنف

مخيف ، حتى ارتطموا بالروسى ، وسقط كلهم أرضًا .

وفى نفس اللحظة ، التى ظهر فيها ذلك العملاق ، دفع (أدهم) (منى) و (قدرى) بعيدًا ، وهو يستلّ مسدسه ، هاتفًا :

- ابتعدا !

وقبل حتى أن تكتمل كلمته ، كانت رصاصاته تنطلق نحو (لاماس) ورجاله العشرة ..

ولأن الوقت والظروف لا يسمحان بالتسامح ، أو تطبيق نظرياته الخاصة بالحفاظ على الأرواح ، فقد انطلقت رصاصات (أدهم) تحصد ثلاثة من الرجال العشرة ، وتطيح بمدفعى رجلين آخرين ، قبل أن يثب (أدهم) نفسه ، متعلقًا بالحاجز السفلى لشرفة قريبة ، ثم يدفع قدميه فى قوة ، لتضربان ذلك التمثال العملاق ، وهو يهتف بـ (منى) :

- أسرعا .. بوماج .. ٣ ى .

ولم تكد (منى) تسمع عبارته ، حتى جذبت (قدرى) من يده ، هاتفة :

- أسرع يا رجل .

لهث (قدرى) فى شدة ، قبل حتى أن يعدو ،

وشمله الانفعال ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يحدق فى التمثال ، الذى سقط فوق (لاماس) ومن تبقى من رجاله ، وهتف :

- ما .. ماذا قال (أدهم) ؟! لم أفهم شيئًا !!

صاحت به (منى) ، وهى تجذبه فى حزم ، إلى خارج الشارع :

- فيما بعد يا رجل .. فيما بعد .

كان رجال (أندروفيتشى) يحاولون النهوض ، فى تلك اللحظة ؛ لمواجهة خصمهم العملاق الأسود الضخم ، إلا أن ذلك العملاق انتزع أحدهم من مكانه ، ورفعه عاليًا فى سرعة وخفة مدهشتين ، كما لو أنه يحمل طفلاً صغيرًا ، ثم ألقاه بمنتهى العنف فوق الآخرين ، فصرخ (أندروفيتشى) فى غضب :

- اقتلوا هذا الوغد .. أسرعوا ، قبل أن يهرب (أدهم صبرى) منا .

فى نفس اللحظة ، التى حدث فيها هذا ، كان (لاماس) واثنان من رجاله يحاولون النهوض ، لإطلاق النار على (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير ركل مدفع أحدهم بضربة قدم سريعة ، ثم قفز إلى أعلى ،

ودار حول نفسه ، وهو يقول ساخرًا :

- ليس بهذه البساطة أيها الأوغاد .

ومع عبارته الساخرة ، ضربت قدماه وجهى (لاماس) والرجل الآخر ، فى تتابع وخفة مدهشين ، ليسقط الرجال الثلاثة أرضًا ..

وعندما هبَّ الجميع واقفين ، و (أندروفيتشى) يهتف :

- لا تسمحوا لهم بالفرار .

قفزت الدهشة إلى وجوه الجميع ، وهم يشهرون مدافعهم الآلية مرة أخرى ، ويتلفتون حولهم فى توتر بالغ ، بحثًا عن (أدهم) ، أو (منى) ، أو (قدرى) .

أو حتى العملاق الأسود ..

ولكن أحدًا من كل هؤلاء لم يكن له أدنى أثر فى المكان ..

لقد اختفوا كلهم ، كما لو أن الأرض قد انشقت وابتلعتهم ..

وفى عصبية ، هتف أحد الرجال :

- العملاق الأسود كان يعدو إلى هناك .

صاح به (أندروفيتشى) ، وهو يستلّ مسدسه :

- دعك من ذلك العملاق ، ولنلحق بـ (أدهم صبرى) .

نهض (لاماس) يلتقط مسدسه فى عصبية ، وهتف محنقًا :

- لقد قتل ثلاثة من رجالنا .

صاح به (أندروفيتشى) ، وهو يتجاوزه ، ليعدو خلف (أدهم) :

- فليذهبوا إلى الجحيم .. اتركهم للمفتش (أورتيجا) ، المهم ألا يفرّ منا هذا الشيطان .

انطلق أكثر من عشرة رجال خلف (أدهم) ، الذى وثب متجاوزًا رجلين ، انهمكا فى وضع اللمسات الأخيرة ، على زينة المهرجان ، ثم انزلق فى خفة ، ليعبر أسفل قوس منخفض ، قبل أن يقفز مرة أخرى إلى أعلى ، ويتعلق بشرفة منزل صغير ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها سيارات الشرطة ، وهى تشقّ طريقها فى صعوبة ، وسط الشارع الرئيسى ، الذى ازدحم بالمحتفلين ، وتماثيل المهرجان الضخمة ، فهتف (أندروفيتشى) :

- ها هو ذا هناك .. الحقوا به .

اندفع رجاله يرتطمون بالمارة ، ويسقطون الناس والتماثيل ، وهم يشقون طريقهم نحو البناية ، التى تعلّق (أدهم) بشرفتها ، ولكن هذا الأخير جذب جسده إلى أعلى ، ثم أفلت ذراعيه ، ودار فى الهواء دورة رأسية بالغة الرشاقة ، شهق لها المارة فى إعجاب وانبهار ، واتسعت معها عيونهم عن آخرها ، عندما هبط على قدميه فى مرونة مدهشة ، ثم اندفع نحو ثالث شارع جانبى إلى اليسار ، وانحرف فيه بسرعة عجيبة ..

ومن سيارة الشرطة الرئيسية ، رأى المفتش (أورتيجا) (أندروفيتشى) و (لاماس) ورجالهما يطاردون (أدهم) ، فصاح بقائد السيارة :

- توقّف يا رجل .. القاتل يحاول الفرار .

ولم يكد الرجل يوقف السيارة ، حتى وثب منها (أورتيجا) ، صائحًا فى رجاله :

- أسرعوا .. سنطارده على الأقدام .. أسرعوا .

والتقى الفريقان عند بداية الشارع الثالث ، وانضما لبعضهما البعض ، لمطاردة (أدهم) و (منى) و (قدرى) ..

ويا لها من مفارقة !!

فريق من الشرطة والمجرمين ورجل مخابرات سابق ، يطارد فريقًا يضمّ أفضل رجل مخابرات ، في العالم أجمع ..

ولكن عندما التقى الفريقان ، عند مدخل الشارع الثالث ، كان (أدهم) يثب داخل سيارة (بورش) رياضية حمراء ، وهي تنطلق بالفعل مبتعدة ..

وفي غضب هادر ، هتف (أندروفيتشي) :

ـ لا تسمحوا له بالفرار .

وبلا تردُّد ، ارتفعت فوهات أسلحة الجميع .. رجال (أندروفيتشي) و (لاماس) و (أورتيجا) ، دون اتفاق مسبق ، و ...

وانطلق سيل من النيران خلف (البورش) الحمراء ..

أكثر من مائتي رصاصة اخترقت جسمها ، دون أن تتوقّف لحظة واحدة ، وهي تنطلق عبر الشارع الجانبي ، حتى بلغت طريقًا أكثر اتساعًا ، وأقلّ هدوءًا من الطريق الرئيسي ، فانحرفت مرة أخرى إليه ، وانطلقت بها (منى) ، متفادية عشرات التماثيل

وأقواس الزينة ، التي لم ينته إعدادها بعد ، وهي تهتف في سعادة :

ـ نجونا يا (أدهم) .. نجونا منهم .

التقط نفسًا عميقًا ، وهو يعتدل في مجلسه ، ويرسم على شفتيه ابتسامة ارتياح ، قائلًا :

ـ ليس هذا فحسب يا عزيزتي .

ثم ارتفع حاجباه ، وربّت على كتفها في حنان ، مستطردًا :

ـ لقد استعدنا أيضًا لمحة من الأيام الخوالي .

خفق قلبها في قوة ، وهي تتمتم :

ـ إلى حد ما يا (أدهم) .. إلى حد ما .

ثم تابعت في مرارة ، وهي تضغط دوّاسة الوقود بقوة أكبر ، على الرغم من صعوبة الانطلاق وسط كل هذا الزحام :

ـ ولكن حالتي الصحية لم تسمح لي بعد ، بالقتال إلى جوارك ، عندما حاصرنا هؤلاء الأوغاد ، داخل الشارع الجانبي .

ربّت على كتفها مرة أخرى في حنان ، هامسًا :

ـ كل شيء سيعود إلى ما كان عليه بإذن الله يا عزيزتي .. كل شيء ..

تأوّه (قدرى) فى قوة ، وقال فى ألم :

ـ معذرة يا رفاق .. أنا مضطر لقطع لحظاتكما العاطفية الرقيقة ، لأخبركما أننى أشعر بألم شديد ، مع تلك الرصاصة فى فخذى .

اصطبغ وجه (منى) بحمرة الخجل ، وهى تنطلق بالسيارة ، فى حين ابتسم (أدهم) ، والتفت إليه ، قائلاً :

ـ تماسك قليلاً يا صديقى .. كل شىء سيعود إلى ما كان عليه .. كل شىء ..

نطقها فى ثقة شديدة ، جعلت (قدرى) يتطلّع إليه لحظة فى دهشة ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، مغمغمًا :

ـ بالتأكيد يا (أدهم) .. بالتأكيد .

التقى حاجبا (منى) ، مع تلك الكلمات ، وراحت تتساءل فى أعماقها : ماذا حدث بالضبط ؟!

كيف استعاد (أدهم) نشاطه وحيويته وقوته كلها بهذه السرعة ؟!

بل كيف عاد أفضل مما كان ؟!

ومن ذلك العملاق الأسود ، الذى هاجم الروسى ورجاله ؟!

وأين ذهبت (جيهان) ؟!

ماذا أصابها ؟!

ماذا ، وكيف ، ومن ، وأين ؟!

عشرات الأسئلة تفجَّرت فى أعماقها ، وتحوَّرت كلها إلى سؤال واحد :

ـ إلى أين تذهب يا (أدهم) ؟!

استرخى فى مقعده ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، وهو يجيب ، مسبلاً جفنيه :

ـ شوارع (ريو دى جانيرو) لا تروق لى أبدًا ، فى موسم المهرجانات .. زحام ، وضوضاء ، ومشاجرات ، وإطلاق نيران فى الطرقات الجانبية ، وراقصات وراقصين ، وتماثيل ، وأقواس نصر .. أمر مزعج للغاية ، لذا فسنترك المدينة كلها .

تأوَّه (قدرى) مرة أخرى ، وقال :

ـ لا ريب فى أنهم سيراقبون كل مداخل ومخارج المدينة .

فتح (أدهم) عينيه فى بطء ، قائلاً :

ـ وماذا عن المحيط ؟!

تألَّقت عينا (منى) ، وهى تقول :

- بالتأكيد .

ثم انحرفت بغتة بالسيارة إلى اليمين ، وقفزت بها أمام فرقة استعراضية ، تقطع الطريق بضجيج مزعج ، قبل أن تندفع عبر شارع ضيق ، فصرخ (قدرى) :

- احترسى يا (منى) .. إنك تؤلميننى كثيرًا .

أجابته بلهجة حملت حماسًا مباغتًا :

- معذرة يا (قدرى) ، ولكن هذا الطريق وحده يمكن أن يقودنا إلى الشاطئ ، حيث ينتظرنا زورق (أدهم) .

ارتفع حاجبا (قدرى) فى دهشة ، وقال فى عصبية :

- زورق (أدهم) ؟! أى زورق هذا ؟! (أدهم) لم يذكر أية زوارق ؟!

ابتسم (أدهم) ، وقال ، وهو يتطلع إلى (منى) فى حب :

- هذه واحدة من مزايا العمل مع (منى) يا (قدرى) .. إنها تستوعب كل ما أريد قوله ، دون أن أحتاج حتى لقوله .

هزَّ (قدرى) كتفيه المكتنظين ، وتأوَّه فى ألم ، قبل أن يقول :

- هذا واضح ، ففى ذلك الشارع لم أفهم حرفًا واحدًا من (بوماج ٣ ى) هذه ، فى حين فهمت هى الكثير .

تبادل (أدهم) نظرة عابثة مع (منى) ، وضحك كلاهما فى مرح ، قبل أن تقول هى :

- إنها لغة خاصة ، يعرفها معظمنا ، فى جهاز المخابرات ، وبالذات من اعتادوا العمل معًا ، وهى ليست واحدة من الشفرات المعقَّدة ، وإنما لغة سرية بسيطة للغاية ، فلقد تحدَّث (أدهم) بالمقاطع الأولى المختصرة ، لما يريد قوله .. (بوماج ٣ ى) .. أى سيارة (بورش) حمراء ، تنتظر فى الشارع الثالث إلى اليسار .

هتف (قدرى) فى دهشة :

- (بوماج ٣ ى) ، تعنى كل هذا ؟!

أجابه (أدهم) مبتسمًا :

- بالطبع يا صديقى .. (بو) هى السيارة (البورش) ، و (ماج) تعنى لون (الماجنتا) ، وهو لون يستخدم فى الطباعة ، لتعويض اللون الأحمر ، و (٣ ى) تعنى الثالث إلى اليسار .. أمر بسيط للغاية .. أليس كذلك ؟!

عض (قدرى) شفته السفلى ، وهو يمسك فخذه فى قوة ، فى محاولة للسيطرة على الألم والنزيف ، وهو يغمغم :

- بالنسبة لكما فحسب .

ثم هتف فى حدة :

- ألن يتوقف هذا الألم اللعين قط ؟!

أجابته (منى) فى سرعة :

- لقد وصلنا تقريبًا .

رفع عينيه ، يتطلع إلى الشاطئ ، الذى بدا من بعيد ، تحت الأضواء الساطعة ، التى انتشرت فى المنطقة ، احتفالاً بالمهرجان ، وقال فى ألم :

- المشكلة أننا تركنا الحقائب وما فيها ، فى حقيبة السيارة ، التى تركناها خلفنا .

غمغم (أدهم) ، وهو يعتدل ، ويتطلع إلى الشاطئ فى اهتمام وحذر :

- لا تجعل هذا يقلقك .

واصل حديثه فى توتر :

- لقد أحضرت كل ما تحتاج إليه للتنكر ، وما أحتاج إليه أنا ، لتزوير أية وثيقة مطلوبة ، ورصاصات مسدس (منى) ، و ...

قاطعه (أدهم) ، فى شىء من الحزم :

- لا تقلق .

أدركت (منى) أن (أدهم) يفحص المكان جيدًا ؛ ليتأكد من أنهم لا يقبلون على فخ ما ، بعد أن استنبط أحدهم أنهم سيتجهون إلى الشاطئ ، فقالت ، محاولة جذب انتباه (قدرى) بعيدًا :

- ضياع الحقائب ليس المشكلة الكبرى يا (قدرى) ، فكل شىء يمكن تعويضه ، ولكن السؤال الآن هو ما الذى سيفعله ذلك الروسى ، فى محاولته للحاق بنا ، قبل أن نفر من بين أصابعه ؟!

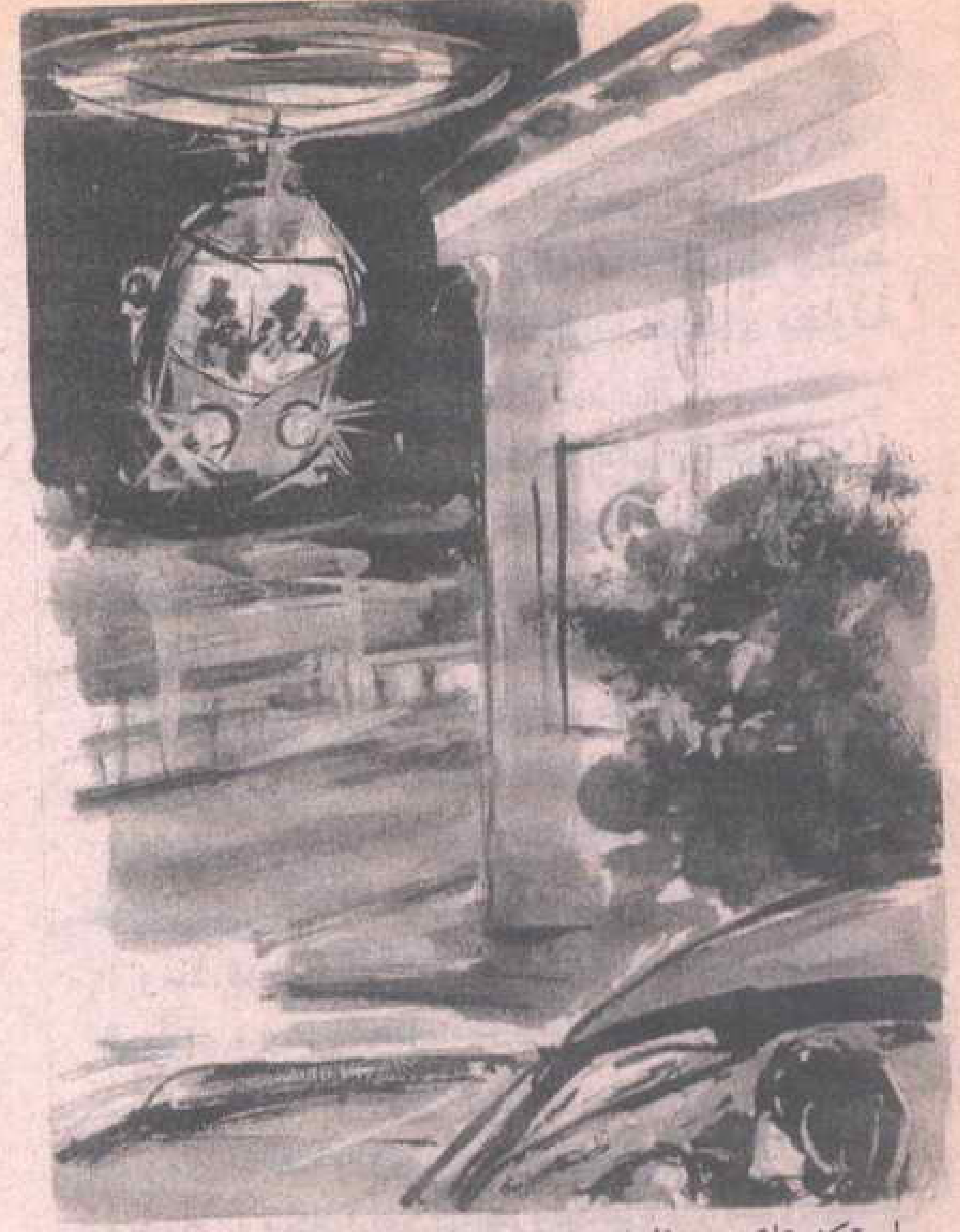
لم تكد تلقى سؤالها ، حتى برزت تلك الهليوكوبتر فجأة ، من خلف أحد الأبنية المواجهة للشاطئ ..

هليوكوبتر تحمل شعار الشرطة ، ومدفعين آليين قويين فى مقدمتها ..

ومنذ الوهلة الأولى ، لمحت الهليوكوبتر (البورش) الحمراء ، وهى تنطلق نحو الشاطئ ..

واستدارت لتواجهها ..

ومن خلف واجهتها الزجاجية ، لمح (أدهم) و (منى) وجه (يورى أندروفيتشى) ، الذى يجلس إلى جوار الطيار ، ويشير إليهما مباشرة ..



لم تكد تلقى سؤالها ، حتى برزت تلك الهليوكوبتر فجأة ، من خلف الأبنية المواجهة للشاطئ ..

وغمغمت (منى) فى توتر :

- إنه رجل المخابرات الروسى السابق .

ولم تكد عبارتها تكتمل ، حتى انقضت عليهما الهليوكوبتر ، وأطلقت نيرانها ..

كالمطر ..

★ ★ ★

نفثت السنيورا دخان سيجارتها فى قوة وعمق ، وهى تقف فى شرفة وكرها ، في قلب جبال (فيلا مونتز) ، فى (بوليفيا) ، وتتطلع فى صمت إلى النجوم اللامعة ، التى بدأت تظهر فى السماء ، مع غروب الشمس ..

كانت ، على الرغم من قسوتها وصرامتها اللامحدودتين ، تشعر بلمحة رومانسية رقيقة ، تتسلل إلى مشاعرها ، فى تلك الليلة ، وتدفعها إلى الجلوس فى شرفتها الواسعة ، والاستمتاع بنسيم الليل ، ومرأى القمر والنجوم ..

ولكنها لم تستطع الاستمتاع بهذا طويلاً ..

مرة أخرى ، راح ذلك القلق الكامن فى أعماقها يتصاعد ويتصاعد ، ليمحو تلك اللمحة الرومانسية ، ويسرى فى عروقها كالحمم ..

وعلى الرغم من محاولتها شغل عقلها بمشهد القمر والنجوم والجبال ، أصرَّت صورة (أدهم) على احتلال المساحة العظمى من ذهنها ، والسؤال المخيف يتردَّد فى أعماقها كالصدى المتواصل ..

هل لقى مصرعه بالفعل ؟!

هل ؟!

ولوهلة ، حاولت أن تقنع نفسها بأن الجواب هو نعم ..

نعم ، لقى (أدهم صبرى) مصرعه ، وسط ممر (بيليجرو) ، أو داخل ذلك النفق ، أو ... أو فى أى مكان آخر ..

ولكن لا ..

شىء ما فى أعماقها رفض الاعتراف بهذا ..

شىء ما فى كيانها كله صرخ :

ـ لا .. لم يمت (أدهم صبرى) بعد .. ما زال اسمه على رأس قائمة الأحياء ، فى هذا الزمان ..

ودون أن تدرى ، انتقلت الكلمة إلى لسانها ، فهتفت فى حنق :

ـ لا .

جاء هتافها أعلى مما ينبغى ، حتى خُيِّل إليها أن ذئاب الجبال كلها قد سمعتها ، وتوقَّفت لتحديد مصدر الهتاف ، ثم لن تلبث أن تعوى بشدة ، وتفزع المنطقة كلها ، فألقت سيجارتها عبر الحجرة فى عصبية ، والتقطت من علبتها سيجارة أخرى ، وقبل أن تشعلها بقدَّاحتها الذهبية ارتفعت فجأة دقَّات على الباب ، فقالت فى عصبية :

ـ مَنْ ؟!

أتاها صوت خادمها الخاص ، يقول :

ـ إنه أنا يا سنيورا .. هناك محادثة عاجلة من (ريو) .. رجلنا (دونيو) .

انعقد حاجباها فى شدة ، ونفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، وهى تغمغم :

ـ محادثة عاجلة من (ريو) .. ومن رجلنا (دونيو) .. كم أخشى أن ..

لم تتمَّ عبارتها ، وإنما قالت لخادمها فى صرامة :

ـ أحضر الهاتف .

دلف الخادم إلى الحجرة ، حاملاً هاتفها الخاص ، فوق صينية من الفضة ، فمطَّت شفتيها ، وهى تلتقط الهاتف ، قائلة فى حدة :

- قلت ألف مرة إننى لا أحب الفضة .. فقط الذهب .. هل تفهمنى ؟!

تنحنح الخادم ، وقال :

- هذه ليست صينية فضية عادية أو تقليدية يا سنيورا .. إنها تحوى نقوشًا أثرية ، ولقد أهداها إليك أمير الـ ...

قاطعته فى غضب :

- قلت : الذهب فقط .

قالتها ، وهى تختطف الصينية الفضية من يده ، وتلقى بها عبر الشرفة بكل قوتها ، فمطَّ الخادم شفتيه ، واعتدل قائلاً فى هدوء :

- كما تأمر السنيورا .

ووقف معتدلاً أكثر ، فى حين وضعت هى الهاتف على أذنها ، قائلة :

- إنه أنا يا (دونيو) .

هتف البرازيلى فى انفعال شديد :

- إنه حىّ يا سنيورا .. حىّ .

اتسعت عيناها ، وانتفض جسدها كله فى عنف ، قبل حتى أن يعلن الاسم ..

لقد كانت تتوقَّع هذا .

وتنتظره ..

وتخشاه ..

وعلى الرغم من تأكُّدها ، وثقتها ، سألته فى لهفة شديدة ، وبصوت مبحوح ، من فرط الانفعال :

- عمَّن تتحدَّث يا رجل ؟!

هتف (دونيو) :

- المصرى يا سنيورا .. ذلك الرجل .. (صبرى) .. (أدهم صبرى) .

العجيب أن هذا القول كان يتفق مع توقعاتها تمامًا ، إلا أنها ، وعلى الرغم من هذا ، وجدت نفسها تقفز من مقعدها ، هاتفة :

- حىّ ؟! (أدهم صبرى) حىّ ؟! هل رأيته بنفسك يا رجل ؟!

أجابها (دونيو) بصوت مرتجف :

- كلنا رأيناه يا سنيورا .. كلنا .. لقد هاجم السنيور (أندروفيتشى) ، وخمسة من رجالنا ، مع السنيور (لاماس) ، وعشرة آخرين منا ، وهذا بعد أن ضرب (كوادروس) فى قسوة ، حتى أفقده الوعى .

اتسعت عيناها ، وهى تسأله فى غضب :

- هل هاجمتموه جميعًا فى آن واحد ؟!

ردَّد الرجل ، بصوت أكثر ارتجافًا :

- للأسف يا سنيورا .. للأسف ..

قالت فى عصبية :

- للأسف ؟! ولماذا الأسف يا رجل .

لهث (دونيو) على نحو عجيب ، وهو يجيب :

- لقد هزمنا جميعًا يا سنيورا .. هزمنا ولاذ بالفرار .

الكلمة الأخيرة بالذات ، فجَّرت كل غضبها وعنفها وثورتها ، وجعلتها تصرخ كالمجنونة :

- الفرار ؟! هل نجح (أدهم صبرى) فى الفرار منكم جميعًا أيها الأغبياء ؟! هل هزمكم أيها الحمقى ؟! رجل واحد يدحركم جميعًا ، على هذا النحو ؟!

بدا وكأن (دونيو) يتحدَّث فى صعوبة ، وهو يقول :

- إنه ليس رجلاً عاديًا يا سنيورا .. إنه شيطان .

كانت تدرك تمامًا أن الرجل على حق ، وأن (أدهم صبرى) ليس أبدًا بالرجل العادى ، وعلى الرغم من هذا ، فقد صرخت فى غضب :

- بل أنتم الأغبياء .

صمت الرجل ، ولم يحر جوابًا ، فصمتت هى بدورها لحظة ، استنفرت خلالها كل قوتها ؛ لتستعيد السيطرة على أعصابها ، قبل أن تسأله فى حزم :

- أين (يورى) ؟!

أجابها الرجل فى سرعة :

- يطارد المصرى يا سنيورا .

لم تكن تتوقَّع هذا الجواب قط ، لذا فقد انتفض جسدها مرة أخرى ، وكادت أصابعها تعتصر سمَّاعة الهاتف ، وهى تهتف :

- يطارده ؟!

ثم شملها انفعال جارف ، مع استطرادتها :

- هل تعنى أن (أدهم صبرى) لم يفرّ تمامًا ، وأن (يورى) مازال يرصده ويطارده ؟!

شعر الرجل بالأمل واللهفة فى صوتها ، فأجاب فى حماس :

- بالطبع يا سنيورا .. سنيور (أندروفيتشى) هذا عبقرى للغاية .. لقد درس الموقف بسرعة ، ثم طلب من المفتش (أورتيجا) إحضار واحدة من طائرات

الهليوكوبتر ، التابعة للشرطة ، والمزوَّدة بمدفعين آليين ، ولقد وصلت الهليوكوبتر بسرعة مدهشة ، فاستقلها سنيور (أندروفيتشى) مع المفتش (أورتيجا) ، وانطلقا بها خلف ذلك المصرى ، فى حين طلب سنيور (لاماس) من باقى الرجال تأمين مداخل ومخارج المدينة ، بما فيها (كوهيدور بيليجرو) أيضًا .

هتفت فى انفعال :

- عظيم .. عظيم .

وأنهت المحادثة على نحو مباغت ، ثم طلبت رقم الهاتف المحمول للروسى ، ولم تكد تسمع صوته ، حتى سألته فى لهفة :

- (يورى) .. هل تطارد (أدهم) بالفعل ؟!

أجابها الروسى فى صرامة :

- خطأ .. إننى آسفه يا سنيورا .

ومع عبارته ، سمعت عبر هاتفها دوى رصاصات مدفعى الهليوكوبتر ..

ثم أعقبه دوى أكثر عنفًا ..

دوى انفجار .

★ ★ ★

٦ - الموت مرة أخرى ..

بحركة غريزية ، لم تكد (منى) تلمح الهليوكوبتر ، وهى تنقضّ عليها ، حتى انحرفت بالسيارة إلى اليسار ، ثم إلى اليمين ، وتفادت تلك الرصاصات المنهمرة كالمطر ، والتى لم تنجح سوى فى إصابة جانب السيارة فحسب ..

وبكل غضب الدنيا ، هتف (أندروفيتشى) فى الطيَّار :

- أيها الغبى .. كيف أخطأتهم ؟!

انعقد حاجبا الطيَّار فى غضب ، فى حين تنحنح المفتش (أورتيجا) ، قائلاً :

- رويدك يا سنيور (أندروفيتشى) .. هذا الرجل أبرع طيارينا .

قال (أندروفيتشى) فى صرامة :

- لا عجب إذن فى أنكم فاشلون .

التفت إليه الطيَّار فى حركة حادة ، فى نفس الوقت ، الذى هتف فيه (أورتيجا) مستنكرًا :

ـ ماذا تقول يا سنيور ؟!

فى نفس اللحظة ، التى أطلق فيها هتافه ، كان الطيَّار ينقضَ مرة أخرى على السيارة (البورش) ، و (أدهم) يقول لـ (منى) فى حزم ، وبصره يتابع حركة الهليوكوبتر ، ثانيةً بثانيةً :

ـ واصلى الانطلاق إلى الأمام .. اتجهى نحوهم مباشرةً .

هتف (قدرى) مذعورًا :

ـ إنك تلقى بنا بين فكيهم .

تجاهله (أدهم) تمامًا ؛ وهو يتابع الهليوكوبتر بنظرة خبيرة ، ثم لم يلبث أن هتف فجأة :

ـ إلى اليسار يا (منى) .

ومع أوَّل حرف من هتافه ، انحرفت هى بالسيارة بالفعل ..

وفى نفس اللحظة بالضبط ، انطلقت رصاصات الهليوكوبتر ..

وطاشت كلها بلا استثناء ..

وانعقد حاجبا (أندروفيتشى) حتى آخرهما ، وهو يهتف بالطيَّار :

ـ غبى !

صاح به الطيَّار فى غضب :

ـ لماذا لا ترينا مهارتك أيها العبقرى ؟

لم يكد يتمَّ عبارته ، حتى دفعه (أندروفيتشى) جانبًا ، وهو يقول فى صرامةً :

ـ أشكرك على هذا العرض الكريم أيها الفاشل .

صرخ (أورتيجا) فى ذهول ، عندما شاهد (أندروفيتشى) ينتزع حزام المقعد :

ـ ماذا تفعل يا سنيور ؟!

أما الطيَّار ، فقد اختلَّ توازنه ، واتسعت عيناه فى رعب ، ولوَّح بذراعيه فى الهواء محاولاً التشبُّث بأى شىء ، ولكن (أندروفيتشى) ركله فى معدته ، ليلقيه خارج الهليوكوبتر ، وهو يحتلَّ مقعده ، ويلتقط عصا القيادة ، للمحافظة على توازن الطائرة ، غير مبال بالصرخة الرهيبة ، التى أطلقها الطيَّار ، وهو يهوى أرضًا ، فى حين اتسعت عينا (أورتيجا) فى ذعر ، وهو يصرخ :

ـ ماذا فعلت يا سنيور ؟! لقد قتلت الرجل !!

أحكم (أندروفيتشى) حزام مقعده ، وهو يسيطر على الهليوكوبتر ، قائلا فى صرامة :

- أخبرهم أنه قد لقى مصرعه فى أثناء الخدمة ، وستحصل أسرته على معاش بطل ، يفوق راتبه مرتين على الأقل .

حدّق (أورتيجا) فيه بذهول ، وخُيّل إليه أنه يرى الشيطان نفسه ، فى حين لم يبال به الروسى مطلقًا ، وهو يدور بالهليوكوبتر ، وينقضّ بها مرة أخرى على (البورش) الحمراء ..

وانطلق رنين هاتفه المحمول ، فى تلك اللحظة بالتحديد ، فالتقطه من جيب سترته فى سرعة ، وهو يصوّب المدفعين إلى (البورش) ، وسمع السنيورا تتحدّث إليه ، وتسأله عما إذا كان يطارد (أدهم) ، فأجابها فى حزم :

- خطأ .. إننى أنسفه يا سنيورا .

نطقها ، وضغط زر الإطلاق ، فى قمة عصا القيادة ..

وانطلقت الرصاصات ، و ...

ودوى الانفجار ..

* * *

التقى حاجبا مدير المخابرات المصرية فى توتر ، وهو يطالع الرسالة الشفرية ، التى وصلت على التو ،

عبْر البريد الإليكترونى(*) ، ثم لم يلبث أن رفع عينيه إلى رجاله ، الذين بلغ منهم التعب مبلغًا ، وقال :

- يبدو أن (ن - ١) مازال يصرّ على إشعال الموقف ، فى كل مكان يتواجد فيه .

جذبت العبارة انتباههم ، فاعتدلوا فى مقاعدهم ، وتلاشت رغبة النوم من عقولهم ، وهم يتطلعون إليه فى لهفة وانتباه ، وهو يلوّح بالورقة فى يده ، متابعًا فى غضب :

- لقد أبى إلا أن يصبح جزءًا من المهرجان السنوى فى (ريو دى جانيرو) ، فاشتبك مع رجال السنيورا ، وهم يطاردونه الآن بطائرة هليوكوبتر ، فى اتجاه شاطئ المحيط .

سأله أحد الرجال فى اهتمام قلق :

- ومن أين أتوا بالهليوكوبتر ؟!

أشار إليه المدير ، قائلاً :

(*) البريد الإليكترونى : (E -- Mail) : وسيلة حديثة لنقل الرسائل ، والتخاطب أيضًا ، عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) ، يتم بوساطته نقل الرسائل بسرعة الأحاديث الهاتفية ، عبر أجهزة (المودم) ، التى توجد داخل أو خارج أجهزة الكمبيوتر ، وهى تستخدم عناوين خاصة بها .

- سؤال ذكى يا رجل ، وإجابته تشف عن مدى قوة السنيورا ، وتوغلها فى الجهاز الأمنى البرازيلى ، فالهليوكوبتر التى تطارد (أدهم) و (منى) و (قدرى) ، تحمل شعار الشرطة .

التقى حاجبا صاحب السؤال فى توتر ، فى حين تبادل الآخرون نظرة عصبية ، قبل أن يقول أحدهم :

- رباه ! من الواضح أن سيادة العميد (أدهم) ورفاقه فى وضع دقيق للغاية .

وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، وقال فى حنق :

- الموقف كله دقيق للغاية ، فالوقت يمضى فى سرعة ، والسنيورا تواصل السعى لإنتاج قنابلها الذرية ، ولا شىء يوقفها عن المضى فى هذا الأمر ، مما يعنى أنه لم يعد أمامنا سوى يومين وبضع ساعات ، قبل أن تفشل المهمة كلها ، وعلى الرغم من هذا ، فـ (ن - ١) يقضى وقته فى صراعات متشابكة ، معلنًا عن نفسه فى كل خطوة يخطوها ، مما يزيد الأمر تعقيدًا وصعوبة .

تمتم أحد الرجال :

- هذا هو (أدهم صبرى) الذى نعرفه .

التفت إليه المدير فى حدة ، مكررًا :

- نعم يا رجل .. هذا هو (أدهم صبرى) الذى نعرفه .. رجل المخابرات الوحيد ، الذى يقاتل بوجه عار ، فى العالم أجمع ، والذى فاقت شهرته الآفاق ، حتى صار أقرب إلى نجوم السينما العالميين ، منه إلى رجل المخابرات .

قال رجل آخر فى حذر :

- ولكنه يحقق انتصارات مدهشة دائمًا يا سيدى .

قال المدير فى غضب :

- هذا النوع من الانتصارات العلنية ، لا يناسب طبيعة عملنا يا رجل .. هل نسيتم القاعدة الأولى فى أعمال المخابرات .. لو انتصرنا فلا أحد سيعلم بهذا ، أمَّا لو فشلنا فهى فضيحة .

أجابه رجل ثالث فى سرعة :

- نحن نؤمن جيدًا بهذه القاعدة يا سيادة المدير ، ولكن الجميع لا يلتزمون بها بالقدر نفسه .. الإسرائيليون مثلاً يعلنون دائمًا عن عملياتهم الناجحة ، بل وينسبون إلى أنفسهم أحيانًا ما يفوق قدراتهم الفعلية ، حتى لقد تصور العديدون ، فى (أوروبا)

و (أمريكا) أن (الموساد) هو أفضل وأقوى جهاز مخابرات ، فى العالم أجمع ، فلماذا لا نفعل نحن القليل من هذا ؟

صمت مدير المخابرات بضع لحظات ، قبل أن يتنهَّد ، قائلاً :

ـ اطمئن يا رجل .. (ن ـ ١) يقوم بهذه المهمة خير قيام .

ثم ضرب سطح المائدة براحته ، مضيفًا فى حزم :

ـ ولكن السؤال هنا هو : هل سينجح هذا الأسلوب المستفز باستمرار ؟! وهل سينجح (ن ـ ١) فى هذه المهمة أيضًا ؟!

واعتدل فى مجلسه ، وصوته يكتسب المزيد من الحزم والصرامة ، مستطردًا :

ـ صدقونى أيها السادة .. هذا أخطر موقف نواجهه ، منذ فترة طويلة ، والمشكلة أنها ليست معركة مباشرة ، مع أحد أجهزة المخابرات المعروفة ، وإنما مع غامض ، مع امرأة مصابة بجنون السلطة ، وتمتلك قوة هائلة ، ودعم مالى لا ينقطع ، ولديها القدرة ، فى الوقت ذاته ، على إنتاج مخزون مخيف

من القنابل الذرية ، التى يمكنها بوساطتها السيطرة على العالم أجمع ، والشخص الوحيد ، فى الكون كله ، الذى يمكنه التعامل معها ، هو (أدهم) ، وهذا يعنى أن المسئولية الملقاة على عاتقه رهيبة للغاية .

وصمت لحظة ، ثم تابع فى قوة :

ـ وأن مصرعه ، قبل انتهاء المهمة ، قد يعنى أن العالم سيشهد كارثة رهيبة نووية ، لم يشهد مثلها ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

وعندما انتهى من عبارته الأخيرة ، كان النوم قد طار إلى الأبد من عقول الرجال ، وحلّ محلّه شعور مخيف ..

وعنف ..

* * *

من المؤكَّد أن (منى) ، على الرغم من إصابتها ، التى لم تشف بعد ، ما زالت واحدة من أعضاء المخابرات المصرية ، الذين تلقَّوا أفضل تدريبات ممكنة ، للعمل فى قسم العمليات الخارجية ، وأنها مازالت تمتلك تلك المهارات التقنية ، التى يمتلكها كل العاملين فى هذا المجال ..

ثم إن (أدهم) كـان يراقب الهليوكوبتر ، بكل اهتمامه وانتباهه ، و ...

وخبرته ..

لذا ، فقد انحرفت (منى) بالسيارة ، فى نفس اللحظة تقريبًا ، التى أطلق فيها (أندروفيتشى) رصاصات الهليوكوبتر ..

وارتطمت الرصاصات كلها بسيارة أخرى ، تقف إلى جانب الطريق ..

فدوى الانفجار ..

انفجرت تلك السيارة الأخرى ، فى عنف ، وتطايرت أجزاؤها فى كل صوب .

ولكن هذا لا يعنى أن سيارة (أدهم) ورفاقه قد نجت ..

فمع انفجار السيارة الأخرى ، تطاير الوقود المشتعل من خزانها ، وتناثر فى مساحة واسعة للغاية ، وسقط على الثلث الخلفى كله من السيارة (البورش) ..

ولأن محرك (البورش) خلفى وليس أمامى(*) ،

(*) معظم السيارات الرياضية ، التى تنتجها شركة (بورش) الألمانية ، ذات محركات خلفية ، لضمان زيادة الدفع والسرعة .

فقد امتدت إليه تلك النيران فى سرعة خرافية ، و ...

واشتعل ..

وفى ذعر شديد ، هتف (قدرى) :

- رباه !! النيران !! السيارة تحترق !

توترت (منى) فى شدة ، ولكن (أدهم) صاح بها ، مشيرًا إلى الأمام :

- إلى المحيط مباشرة ..

ضغطت دواسة الوقود بكل قوته ، وكأنها ترغب فى زيادة سرعة السيارة ، التى بلغت حدها الأقصى بالفعل ، وهى تنطلق نحو ذلك الحاجز ، الذى يفصل الشاطئ عن الطريق ..

وفى الهليوكوبتر ، هتف المفتش (أورتيجا) فى عصبية :

- لقد اخطأته أيضًا .

صاح به (أندروفيتشى) ، وهو يدور بالهليوكوبتر :

- اصمت يا رجل ، وإلا ألحقتك بذلك الطيار الثرثار .

عقد (أورتيجا) حاجبيه فى غضب ، ولكنه لاذ بالصمت ، وترك الروسى ينطلق بالهليوكوبتر ، مطاردًا (البورش) ، التى اندفعت بأقصى سرعتها نحو الشاطئ ..

وفى مهارة تستحق التقدير ، تجاوز (أندروفيتشى) السيارة بالهليوكوبتر ، ثم دار حول نفسه فى براعة مدهشة ، ليواجهها مرة أخرى ، وإبهامه يستعد لضغط زر الإطلاق ، وهو يقول فى توتر :

- هيا يا (أدهم صبرى) .. فلنر من منا يفوز ، فى هذه المواجهة الأخيرة ..

وفى السيارة ، هتفت (منى) :

- سيطلق النار مرة أخرى .

تعلق بصر (أدهم) بالهليوكوبتر ، التى انخفض بها (أندروفيتشى) ، إلى ما يقارب سطح الماء ، ليضمن دقة الإصابة ، وهتف فى صرامة :

- واصلى طريقك .. نحو المحيط مباشرة ..

قالها ، وهو يفتح الباب المجاور له ، فصاحت به :

- ماذا ستفعل ؟!

صاح بكل صرامته وقوته :

- واصلى الانطلاق .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تنطلق نحو حاجز الأسلاك ، وارتطمت به فى عنف ، فقفزت السيارة فى مشهد مهيب ،نحو المحيط مباشرة ،وصرخ (أندروفيتشى) :

- الوداع يا (أدهم) .. الـ ...

وقبل أن يتمَّ عبارته ، اتسعت عيناه فى ذهول ، وتجمَّد إبهامه فوق زر الإطلاق ، فى حين شهق (أورتيجا) ، هاتفًا :

- يا للشيطان !

فأمام عيونهما ، وبينما السيارة الحمراء تطير فى الهواء ، نحو مياه المحيط ، قفز منها (أدهم صبرى) ..

كانت وثبته مدهشة خطيرة ، بدا فيها أشبه بطائر أسطورى يشق هواء الليل ، أو بأحد أبطال الروايات الخيالية ، وهو يندفع نحو الهليوكوبتر ، ويتعلق بإطارها السفلى .. واختلَّ توازن الهيلوكوبتر ، مع تلك الزيادة المباغتة فى الوزن ، فمالت فى عنف ، فى نفس اللحظة التى هوت فيها (البورش) الحمراء فى المحيط ..

ومع ارتطام السيارة بالمياه ، صرخ (أندروفيتشى) :

- مستحيل ! مستحيل !

لم تكن صرخته قد اكتملت بعد ، عندما دفع (أدهم) جسده إلى أعلى ، فى مرونة مذهلة ، ووثب داخل الهليوكوبتر ، وهو يقول فى سخرية :

- مرحى أيها الأوغاد .. ترى هل أزعجكما حضورى المباغت ؟!

انتزع (أورتيجا) مسدسه فى سرعة ، هاتفًا :

- اللعنة !

ولكن قدم (أدهم) أطاحت بمسدسه ، بضربة قوية مباشرة ، فتراجع صارخًا :

- لا .. لا ..

أما (أندروفيتشى) ، فقد ضغط زر القيادة الآلية ، ثم انقض على (أدهم) ، هاتفًا :

- فليكن أيها المصرى .. أنا أيضًا أفضّل الاشتباك المباشر .

استدار إليه (أدهم) ، قائلاً :

- عظيم .. هذا يضاعف المتعة بالتأكيد .

اتسعت عينا (أورتيجا) فى شدة ، وهو يحدّق فى ذلك القتال القوى العنيف ، الذى نشب داخل تلك المساحة المحدودة الضيقة ، داخل الهليوكوبتر .

وكان من الواضح أنه لا يشاهد قتالاً عاديًا ، بين مقاتلين محترفين فحسب ..

بل كان يشاهد شيئًا لم يشاهد مثله ، فى حياته كلها ..

كان يشاهد معركة ، على أعلى مستوى من القوة والبراعة والفن والإتقان ..

وبينما راح جسده يرتجف ، فى ذعر ذاهل ، كانت (البورش) تغوص وتغوص فى مياه المحيط ، و (قدرى) يكتم أنفاسه ، ويجاهد بذراعيه ، محاولاً الخروج منها ، فى حين حلّت (منى) حزام مقعدها ، ودفعت الباب المجاور لها بقدميها ، ثم سبحت إلى الخلف ، وحلّت حزام مقعد (قدرى) وراحت تدفعه إلى مقدّمة السيارة بكل قوتها ..

بدانته المفرطة كانت عائقًا شديدًا أمام دفعه إلى المقدّمة ، بالإضافة إلى حالة الذعر التى أصابته ، وهو يضرب الماء بذراعيه ، ويجاهد للخروج من السيارة ، على نحو عشوائى مضطرب ..

ولكن الأمر نجح فى النهاية ..

وبوسيلة أخرى ..

فمن العيوب الرئيسية لتلك الطرازات الحديثة من (البورش) ، أن مقعدها الخلفى صغير للغاية ، حتى أن جسد (قدرى) كان محشورًا داخله بشدة ..

لذا ، فقد حطمت (منى) المقعد الأمامى ، لتدفع

(قدرى) خارج السيارة ، التى استقرّت على القاع ، مما منحها حرية أكثر فى الحركة ..

وعلى الرغم من خروجه من السيارة ، كان (قدرى) يواصل ضرب الماء بقدميه وذراعيه ، فى عصبية شديدة ، ضاعفها ذلك الضيق ، الذى يشعر به فى صدره ، وأنفاسه تتلاشى شيئًا فشيئًا ، لذا فقد أمسكت (منى) ياقته بكل قوتها ، وحمدت الله (سبحانه وتعالى) ، لأن قانون الطفو يزيد من دفع الماء ، من أسفل إلى أعلى ، كلما زاد حجم الجسم(*) ، فلولا هذا لما نجحت ذراعها الضعيفة ، التى لم تسترد قوتها بعد ، فى رفعه إلى السطح ..

وعندما بلغا سطح الماء ، شهق (قدرى) فى قوة ، ليملأ جسده بأكبر قدر من الهواء ، وهو يهتف :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

كان أزير الهليوكوبتر قويًا عنيفًا فوق رأسيهما ، فرفعت (منى) عينيها إلى أعلى ، ووقع بصرها على (أدهم) ، الذى اشتبك فى قتال عنيف مع (أندروفيتشى) داخلها ، فخفق قلبها فى عنف ، وغمغمت :

(*) حقيقة علمية .

- يا إلهى ! يا إلهى !

لم تكد تتمّ قولها ، حتى تناهى إلى مسامعها هدير محرك زورق آلى يقترب ، فالتفت إلى مصدر الصوت فى توتر زائد ، وتبعها (قدرى) ، وهو يقول فى عصبية :

- رباه ؟! عدو هذا أم صديق ؟!

ضاعفت عبارته من توتر (منى) ، وهى تراقب ذلك الزورق ، الذى اقترب بسرعة مدهشة ، وتنقل بصرها بين الحين والآخر ، إلى تلك المعركة العنيفة داخل الهليوكوبتر ، التى راح الطيّار الآلى يقودها فى دائرة محدودة ..

ثم بلغهما الزورق الآلى ..

واتسعت عيونهما فى دهشة بالغة ..

فالشخص الذى يقود ذلك الزورق الآلى ، لم يكن سوى العملاق الأسود ، الذى هاجم الروسى ورجاله ، فى ذلك الشارع الجانبى ، منذ دقائق قليلة ..

وعندما مدّ العملاق الأسود يده ، ليساعدهما على الصعود إلى الزورق ، هتفت به (منى) :

- إذن فهو أنت .

قالتها بالإنجليزية ، فتطلّع إليها الرجل فى حيرة ،

على نحو يوحى بأنه لم يفهم حرفًا واحدًا مما قالته ، ثم جذبها إلى داخل الزورق ، والتفت إلى (قدرى) ، يجذبه فى قوة مدهشة ، جعلت (قدرى) يهتف :

- رباه ! كل من التقيت بهم هنا ، يوحون إلىّ بأن وزنى قد نقص خمسين كيلوجرامًا على الأقل .

ثم حدّق فى الحقيبتين ، اللتين تحتلان مؤخرة الزورق ، قبل أن يستطرد فى دهشة بالغة :

- إنها .. إنهما حقيبتانا !! كيف استعدتهما يا رجل ؟!

بدت الحيرة فى عينى العملاق الأسود ، الذى لم يلبث أن رفع عينيه فى بطء ، يتطلّع إلى تلك المعركة فوق رءوسهم ، ثم أدار محرك الزورق ، لينطلق به مبتعدًا ، فهتفت به (منى) فى ذعر :

- وماذا عن (أدهم) ؟

لم يفهم الزنجى منها سوى اسم (أدهم) ، فتألّقت عيناه بشدة ، ورفع إبهامه ، قائلاً بالبرتغالية :

- سنيور (أدهم) أومو بيليجروسو .

ثم انطلق بالزورق ، و (منى) تهتف :

- يا إلهى ! (أدهم) .. (أدهم) .



ثم جذبها إلى داخل الزورق ، والتفت إلى (قدرى) ، يجذبه فى قوة مدهشة ، جعلت (قدرى) يهتف : - رباه ! ..

ولكن الزورق لم يتوقَّف ، وإنما واصل الانطلاق ، حتى ابتلعه ظلام الليل ..

وفى نفس الوقت ، كان (أدهم) يتفادى لكمة قوية من (أندروفيتشى) ، وهو يقول :

- الواقع أنكم تتمتعون بلياقة مدهشة ، يا رجال المخابرات السوفيتية .

تراجع (أندروفيتشى) بنصفه العلوى فى خفة ، ليركل (أدهم) فى صدره ، قائلاً :

- هذا ينطبق عليكم أيضًا أيها المصريون .

لم يستطع (أدهم) تفادى الضربة ، لضيق المكان ، ولكنه حافظ على توازنه ، على الرغم من عنفها ، ثم دفع جسده إلى الأمام ، ليلكم الروسى فى صدره وفكه بكل قوته ، قائلاً :

- السؤال هنا إذن هو : أية لياقة يمكن أن تتفوَّق ، فى قتال كهذا .

دفعت اللكمتان (أندروفيتشى) إلى الخلف فى عنف ، فارتطم بالمفتش (أورتيجا) ، وكاد يسقط من الباب الآخر للهليوكوبتر ، لولا أن تشبَّث بحاجزه ، و (أورتيجا) يصرخ :

- لا .. لا .. ابتعدا عنى .

انعقد حاجبا الروسى فى غضب ، وهمَّ بالاعتدال مرة أخرى ، ولكن قدمه ارتطمت ، فى تلك اللحظة بالذات ، بمسدس (أورتيجا) ، الذى أسقطه (أدهم) أرضًا ، فانثنى يلتقطه فى سرعة وخفة ، هاتفًا :

- اللياقة لن تحسم القتال يا سيد (أدهم) .

ثم اعتدل فى سرعة البرق ، وهو يحمل المسدس ، مستطردًا :

- ولكن الرصاصات ستحسمه .

نطقها ، وهو يضغط زناد المسدس بالفعل ، ويطلق رصاصاته كلها ..

نحو (أدهم) مباشرة ..

ولقد أصابت رصاصاته كلها الهدف ..

أصابت صدر (أدهم) ، واقتلعته من مكانه ، ودفعته خارج الهليوكوبتر ، ليهوى منها إلى مياه المحيط الباردة ، ويغوص فيها إلى الأعماق ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

ولثوان ، لم ينطق (أندروفيتشى) أو (أورتيجا) حرفًا واحدًا ..

كلاهما راح يحدّق ذاهلاً فى باب الهليوكوبتر ، الذى سقط منه (أدهم) ، وكأنما لا يصدقان ما حدث ..

ثم هتف (أورتيجا) أوّلاً ، فى انفعال جارف :

- يا للشيطان ! لقد .. لقد فعلتها يا رجل .. لقد قتلته .

حدّق (أندروفيتشى) فى فوهة المسدس ، التى يتصاعد منها الدخان ، ثم عاد يتطلّع إلى باب الهليوكوبتر ، ثم إلى مياه المحيط ، التى اختفى فيها (أدهم) تمامًا ، قبل أن تتألق عيناه ، ويقول فى ظفر واضح :

- نعم .. لقد قتلته ..

وكرّر فى انفعال ظافر عنيف :

- أنا .. (يورى أندروفيتشى) ، قتلت أسطورة عالم المخابرات .. قتلت (أدهم صبرى) ..

نطقها ، وانتابته موجة عجيبة من الضحك ، تردّدت فى المنطقة كلها طويلاً ..

وكان هذا أمرًا طبيعيًا بالتأكيد ..

إنه الرجل الذى قتل (أدهم صبرى) ..

الأسطورة ..

* * *

« قتلته ؟! أأنت واثق يا (يورى) ؟! أأنت واثق من هذا ؟! »

هتفت السنيورا بالعبارة ، عبر هاتفها الخاص ، وجسدها كله يرتجف انفعالاً ، فأجابها (أندروفيتشى) فى زهو واضح :

- نعم يا سنيورا .. هذه المرة لا يراودنى أدنى شك .. لقد قتلته .. أنا الرجل الذى قتل (أدهم صبرى) ..

سألته بكل اللهفة ، التى تسرى فى عروقها :

- كيف يا (يورى) ؟! كيف ؟!

أجابها بكل الفخر :

- بالرصاص يا سنيورا .

اتسعت عيناها فى شدة ، وهى تقول :

- بالرصاص ؟!

أجاب مؤكدًا :

- نعم يا سنيورا .. أطلقت ست رصاصات على صدره مباشرة ، من مسافة تقلّ عن المتر .

ردّدت مرة أخرى :

- بالرصاص ؟!

نطقتها هذه المرة محمّلة بكل الدهشة والاستنكار والإحباط ، وكأنما لم تكن تتصوّر قط أن نهاية رجل

مثل (أدهم صبرى) ، ستأتى على هذا النحو !..

ست رصاصات ، فى الصدر مباشرة ..

يا لها من وسيلة تافهة ، لمصرع بطل أسطورى مثله !!

وفى غمرة زهوه وفخره ، وشعوره بالظفر والنصر ، التقط (أندروفيتشى) تلك الرنة فى صوتها ، فعقد حاجبيه ، قائلاً فى صرامة :

- ألا يروق لك هذا يا سنيورا ؟!

سرت فى جسدها ارتجافة خفيفة ، مع قوله هذا ، انتزعتها من شرودها ، فاعتدلت فى وقفتها ، وقالت فى عصبية :

- اتعشَم أن تكون قد احتفظت بجثته هذه المرة .

هتف مستنكرًا :

- جثته ؟! أى هوس هذا يا سنيورا ، الذى يدفعك دومًا إلى لهفة مشاهدة جثة ذلك الرجل ؟! لقد قتلته هذه المرة .. قتلته بكل ثقة ، فلماذا تصرين على الحصول على جثته ؟! هل ستقومين بتحنيطها ، ووضعها فى متحف خاص كممياوات الفراعنة ؟!

أجابته فى صرامة :

- تحنيط جثة (أدهم صبرى) فكرة لا بأس بها

يا (يورى) ، فهى الضمان الوحيد لمصرعه على الأقل .

ثم أضافت فى صرامة شرسة :

- والآن أخبرنى دون سخرية أو مواربة .. هل احتفظت بجثته ؟!

فجَرت عبارتها غضبًا عنيفًا فى أعماقه ، وأحنقه أن تفسد شعوره بالانتصار ، بهذا الإصرار السخيف ، فاستعان ببروده الثلجى ، فى محاولة لإخفاء انفعاله ، وهو يجيب :

- لا توجد جثة .

هتفت مستنكرة فى شدة :

- لا توجد جثة ؟! لا تقل لى : إن ست رصاصات عادية قد نسفت الرجل ، حتى لم تعد له بقايا .

أجابها ، محتفظًا ببروده فى صعوبة :

- كلاَّ يا سنيورا .. كلانا يعلم أن هذا لا يمكن أن يحدث ، ولكن هذه الرصاصات الست كانت كافية ، لتغوص بجثته إلى أعماق المحيط .

انتفض جسدها كله فى عنف أكثر ، وهى تقول :

- أتعنى أنك لم تر جثته بعينيك ؟!

أجاب ، فى شىء من التوتر هذه المرة :

- سنيورا .. لقد أطلقت النار على (أدهم صبرى) هذا داخل هليوكوبتر تحلق فوق المحيط ، ورأيت الرصاصات كلها تخترق صدره ، وتنتزعه من مكانه ، لتلقى به فى المحيط ، فما الذى تتوقعينه .

قالت فى عصبية بالغة :

- كل شىء يمكن توقعه ، مع رجل مثل (أدهم صبرى) .

صاح فى حدة :

- إنها ست رصاصات يا سنيورا .

صاحت به فى غضب :

- حتى ، ولو كانت قنبلة ذرية .

لاذ بالصمت ، على الرغم من ثورته ، فتابعت فى صرامة غاضبة :

- اسمعنى جيدًا يا (يورى) .. مر (أورتيجا) بالبحث عن جثة (أدهم) فى المحيط .

قال فى حنق :

- (أورتيجا) سيفعل هذا فى الصباح بالفعل ، وسيرسل فريقًا من الضفادع البشرية للبحث عن الجثة ، و ...

قاطعته فى حدة :

- لن أنتظر حتى الصباح يا (يورى) .

لم يعد باستطاعته التحكم فى أعصابه أكثر من هذا ، فصاح بها :

- حاولى تقدير الأمر أكثر يا سنيورا .. إنه المهرجان السنوى ، والمدينة كلها غارقة فيه حتى النخاع .. الجميع يرقصون ويغنون فى الشوارع والطرقات ، ولا يوجد موضع لقدم ، و (أورتيجا) لن يجد ضفدعًا بشريًا واحدًا للقيام بهذه المهمة الآن .. بل ولن يمكننا حتى استئجار من يقوم بالمهمة لحسابنا .

كررت فى عصبية بالغة :

- لن يمكننى الانتظار حتى الصباح .

أطلق زفرة قوية حارة طويلة ، قبل أن يقول فى صرامة :

- أظن أنك مضطرة لتدريب نفسك على الانتظار يا سنيورا ، ما دمت تصرين على التصرف بهذا الأسلوب ، الذى يبدو لى أشبه بالفوبيا(*) .. (فوبيا أدهم صبرى) .

(*) الفوبيا (Phobia) : هلع مرضى من شىء محدود ، أو طائفة من الأشياء المعينة ، مثل الهلع من الأماكن المغلقة (كلوستو فوبيا) ، أو الخوف من الزحام (كلودو فوبيا) ، وغيرها ..

قالها ، وأنهى المحادثة فى عنف ، فاحتقن وجهها فى شدة ، وانعقد حاجباها فى قوة ، والتقطت علبة سجائرها فى عصبية شديدة ، وأشعلت إحداها بقدّاحتها الذهبية ، وراحت تنفث دخانها ، وهى تتحرك فى الحجرة كالمحمومة ..

لا أحد يمكنه استيعاب مخاوفها أو أفكارها ..

لا أحد يدرك خطورة وجود (أدهم صبرى) على قيد الحياة ..

لا أحد يفهم مدى ما يمثله من خطر ، على خطتها الكبرى ، ومشروعها النووى الضخم ..

لقد بذلت جهدًا خرافيًا ، لإقناع مموليها بالإنفاق على هذا المشروع الهائل ، ووعدتهم بالحصول على مكاسب لم يحصل عليها سواهم ، عبْر التاريخ كله ..

وعدتهم بالسيطرة على اقتصاد العالم كله ..

وكل شىء كان يسير على ما يرام ..

المفاعل النووى تم بناؤه ، فى أفضل منطقة ممكنة ..

الماء الثقيل ، والبلوتونيوم المخصّب ، وكل المواد اللازمة لإنتاج القنبلة ، بذل رجالها جهدًا رهيبًا ؛

للحصول عليها ، من كل مكان فى العالم ، وبأى ثمن كان ..

حتى العلماء ، أحضرتهم من ثلاث قارات مختلفة ، وقاتلت فى سبيل تكوين فريقها العلمى النووى ، كما لم يحدث من قبل ..

وطبقًا لكل التقارير ، لم يعد أمامها سوى يومين وبضع ساعات ، وتصبح لديها أوّل دفعة من القنابل الذرية ..

وأوّل خطوة عملية ، فى خطة السيطرة على العالم ..

يومان وبضع ساعات ..

فقط يومان وبضع ساعات ..

تردّد الرقم فى رأسها طويلًا ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عصبية ، ثم لم يلبث أن اتخذ صورة جديدة ..

يومان كاملان ، وبضع ساعات ..

يا له من زمن طويل !!

زمن يمكن أن يحدث فيه الكثير ..

والكثير جدًا ..

وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تنتفض فى شدة ، وتهتف :

- لا .. لن يمكننى الانتظار كل هذا الوقت .

ثم التقطت هاتفها الداخلى ، وقالت عبره فى صرامة :

- هنا السنيورا .. أريد البروفيسير (استروتيسكى) فى مكتبى على الفور .

أجابها الرجل ، على الجانب الآخر للخط :

- البروفيسير (استروتيسكى) أوى إلى فراشه يا سنيورا ، و ....

قاطعته فى غضب :

- قلت لك : أريده فى مكتبى على الفور أيها الغبى .. انتزعه من فراشه ، أو أخرجه حتى من دورة المياه ، المهم أن يأتى إلى هنا على الفور .. هل تفهم ؟!

أجابها الرجل فى خفوت :

- كما تأمرين يا سنيورا .. كما تأمرين .

ألقت سماعة الهاتف فى حدة ، وألقت خلفها سيجارتها أرضًا ، قبل أن تكتمل ، وسحقتها بقدمها فى قوة ، وكأنما تسحق معها كل توترها وغضبها

ومخاوفها ، ولكن العجيب أنها لم تكد ترفع قدمها عنها ، حتى التقطت من علبتها سيجارة أخرى طويلة ، أشعلتها فى عصبية أكثر ، وراحت تنفث دخانها فى قوة ، لتملأ به هواء الحجرة ، قبل أن تتجه فى خطوات واسعة سريعة إلى حجرة مكتبها ، لمقابلة البروفيسير (استروتيسكى) ، وعقلها يدرس تلك التطورات الجديدة ، التى قرَّرت إجراءها فى خطتها ..

التطورات التى ستقلب الأمور كلها رأسًا على عقب ، وستساعدها على بلوغها هدفها ، قبل الموعد المحدد ..

وهذا يعنى أن لحظة السيطرة على العالم ستأتى أسرع مما يتصوَّر الجميع ..

أسرع بكثير .

* * *



٧ - ليلة بلا نهاية ..

لم ينطلق ذلك الزورق البخارى ، فى قلب المحيط ، لأكثر من ربع الساعة فحسب ، ابتعد خلالها عن شاطئ (ريو دى جانيرو) ، ثم سار بمحاذاته لبعض الوقت ، قبل أن يندفع نحوه مرة أخرى ، بعيدًا عن المنطقة المأهولة ، ويواصل اندفاعه ، حتى وثبت مقدّمته فوق الرمال ، واستقرّ هناك ...

وفى توتر بالغ ، غمغم (قدرى) :

- إلى أين أتى بنا هذا الرجل ؟!

أجابته (منى) فى حذر ، وهى تتلفّت حولها ، محاولة اختراق الظلام ببصرها :

- لست أدرى ، ولكن من الواضح أنه يسير وفقًا لخطة منظمة .

تلفّت (قدرى) حوله بدوره ، متمتمًا فى قلق :

- أتعشّم هذا .

قفز العملاق الأسود من الزورق ، فى تلك اللحظة ،

وحمل الحقيبتين إلى الشاطئ ، ثم أشار إليهما بالهبوط ، وعندما أصبحا فوق الرمال ، راح يجذب الزورق بقوته الخرافية ، حتى أخفاه بين أشجار النخيل الطويلة ، وغطاه فى حرص ، ثم أشار إليهما أن يتبعاه ، وهو يحمل الحقيبتين على كتفيه ، ويتجه نحو الأغصان المتشابكة ، منتزعًا من حزامه سيفًا قصيرًا ، راح يضرب به الأغصان ، ويشقّ طريقه بينها فى قوة ..

وسرت ارتجافه قوية فى جسد (قدرى) ، وهو يعرج على قدمه المصابة ، متبعًا العملاق الأسود ، وقال لـ (منى) فى عصبية :

- لست أشعر بالارتياح لهذا الأمر يا (منى) .. إننا نتوغّل خلف هذا الرجل ، داخل الأدغال البرازيلية ، وقراءاتى تؤكّد أن هذه الأدغال تضمّ آخر قبائل أكلة لحوم البشر ، فى العالم كله ، وبالنسبة لقوم كهؤلاء ، سأصبح فريسة يسيل لها اللعاب .

على الرغم من توتر الموقف وصعوبته ، وجدت نفسها تبتسم لقوله ، وتقول :

- لا تجعل هذا يقلقك يا (قدرى) .. الموسوعات

تقول : إن أكلة لحوم البشر لا يفضلون اللحوم الدسمة ..

انعقد حاجباه فى عصبية ، وهتف :

- هل تعتقدين أن الموقف يحتمل المزاح ؟!

تنهدَت فى عمق ، وقالت :

- كلا يا (قدرى) .. الموقف لا يحتمل أى شىء بالفعل ، ولكنها كانت مجرد محاولة للتغلب على خوفى وتوترى البالغين ، فصورة (أدهم) ، وهو يقاتل فى شراسة ، داخل الهليوكوبتر ، لم تفارق ذهنى بعد ، وأخشى أن يكون قد أصابه مكروه .

التفت إليها فى دهشة ، وارتفع حاجباه فى حنان ، وهو يقول :

- يا إلهى ! نحن فى موقفنا هذا ، ولا يمكنك التفكير إلا فيه ؟!

تنهدت مرة أخرى ، قائلة :

- ليس أمامى سوى هذا يا (قدرى) .. أنت تعلم ما يعنيه (أدهم) بالنسبة لى .. إنه القلب الذى أنبض به ، والهواء الذى أتنفسه ، و ...

قاطعها مقاومًا دموعه :

- كفى يا (منى) .. لن أحتمل هذا طويلاً .

مسحت دموعها بدورها ، مغمغمة :

- احمه يا إلهى ! أرجوك .. لن يمكننى العيش دونه .

تفجَّرت دموعه أيضًا ، وهو يقول فى مرارة :

- وهل تتصوَّرين أنه يمكننى هذا ؟! إنه الصديق الوحيد لى ، فى هذا العالم كله .

توقَّف العملاق الأسود مع بكائهما ، والتفت إليهما متسائلاً ، وقال بضع كلمات بلغته البرتغالية ، وصوته الأجش ، فلوَّحت له (منى) بيدها ، قائلة بالعربية :

- لا عليك يا رجل .. لن يمكننا أن نشرح لك هذا .. هيا .. امض فى طريقك .

تطلَّع إليهما الرجل بضع لحظات فى حيرة ، ثم لم يلبث أن واصل عمله ، وتابع شق طريقه إلى قلب الأدغال ، وسارا هما خلفه فى صمت ، دام لبعض الوقت ، قبل أن يقول (قدرى) فى قلق :

- ماذا لو أنه يقودنا إليهم بالفعل ؟

سألته (منى) فى حيرة :

- إلى من ؟!

أجاب فى عصبية :

- أكلة لحوم البشر(*) .

والعجيب أن الفكرة لم تبد لها هذه المرة غريبة ، كما كانت من قبل ، إلا أنها ألقت نظرة سريعة على العملاق الأسود ، الذى تتبينه فى صعوبة ، وسط الأحراش والظلام ، وهو يحمل الحقيبتين على إحدى كتفيه ، ويضرب الأغصان بالسيف الصغير فى يده الأخرى ثم التفتت إلى (قدرى) ، قائلة :

- هذا الرجل أنقذنا من الروسى ورجاله يا (قدرى) وقاد إلينا الزورق ، الذى أشار إليه (أدهم) ، وكل ما فعله حتى الآن يؤكد أنه يعمل لصالحنا ، وبمعرفة (أدهم) ، فلماذا يقودنا إلى أكلة لحوم البشر ؟!

ألقى نظرة بدوره على العملاق ، ثم همس فى توتر :

- وماذا لو أنه هو نفسه من أكلة لحوم البشر ؟!

ضحكت على الرغم منها ، قائلة :

- إنه لن يبذل كل هذا الجهد ، ويحمل حقيبتينا لكل هذه المسافة ، لمجرَّد أن ينعم بوجبة دسمة .

(*) أكلة لحوم البشر (Cani Pals) : قبائل بدائية ، تعيش وسط أحراش (أمريكا) الجنوبية ، وهى قبائل مقاتلة ، تتغذى فى الأغلب على لحوم حيوانات المنطقة ، ولكنهم لا يترددون فى أكل أعدائهم (وخصوصًا أكبادهم) ، أو التهام أى غريب ، يمكن أن يقع فى قبضتهم ، فى ظروف عدائية أو قتالية .

ربَت (قدرى) على كرشه الضخم فى عصبية ، قائلاً فى جدية :

- ليست مجرَّد وجبة دسمة ، بل سيحصل على مخزون من اللحم ، يكفيه لأسبوع كامل .

لم تستطع تمالك نفسها ، فى هذه المرة أيضًا ، فأطلقت ضحكة قصيرة ، وقالت :

- من المؤكَّد أنك ستكون وجبة لذيذة الطعم يا عزيزى (قدرى) .

لم يستسغ دعابتها هذه المرة ، فمطَّ شفتيه ، وقلبهما فى امتعاض ، وهو يتخيَّل نفسه داخل وعاء ضخم ، موضوع فوق نيران قوية ، وغمغم فى استنكار واستهجان :

- لذيذ الطعم ؟!

أما العملاق الأسود ، فقد التفت إليهما فى دهشة ، مع ضحكة (منى) ، وتطلَّع إليهما لحظة ، وكأنما يحاول فهم طبيعتهما العجيبة ، التى تجعلهما يتنقلان بين البكاء والتوتر والضحك ، خلال دقائق معدودة ، إلا أنه لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، وعاد يواصل عمله ، طارحًا الأمر كله خلف ظهره ..

ولدقائق أخرى ، واصلت القافلة الصغيرة سيرها ، وسط أدغال (البرازيل) ، حتى قال (قدرى) فى ألم :

- لا .. لم يعد بوسعى الاستمرار .

قالها ، وهو يسمك فخذه المصاب فى قوة ، ويشير بيده ، متابعًا :

- إننى لم أعد أشعر بفخذى قط .

أمسكت (منى) يده ، لتعاونه على الجلوس ، وهى تهتف بالعملاق :

- توقف يا رجل .. توقف .

التفت إليهما العملاق فى اهتمام ، والتقى حاجباه فى شدة ، عندما شاهد (قدرى) أرضًا ، وأطلت من عينيه نظرة متسائلة ، فأشارت (منى) إلى الدماء ، التى تلوث سروال (قدرى) ، وقالت :

- إنه مصاب ، ولم يعد باستطاعته مواصلة السير .

انعقد حاجبا العملاق أكثر ، وهو يحاول رؤية ما تشير إليه (منى) ، فى قلب الظلام ، فهتف (قدرى) فى عصبية :

- إننى مصاب يا رجل .. ألا يمكنك رؤية هذا ؟!

مال العملاق نحوهما أكثر ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وتضاعف التساؤل المطل من عينيه ، و ...

وفجأة ، رفع (قدرى) رأسه ، قائلاً فى توتر :

- ما هذا ؟!

سألته (منى) فى قلق :

- ماذا حدث يا (قدرى) ؟!

تلفت حوله مذعورًا ، وهو يقول :

- هناك وقع أقدام تقترب .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

- وقع أقدام ؟!

ولم تكد ترهف سمعها ، حتى انتبهت إلى حفيف الأوراق ، وحركة الأغصان ، التى تؤكد اقتراب عدة أشخاص منهم ..

ومن كل الاتجاهات ..

وبحركة حادة ، اعتدل العملاق الأسود أيضًا ، وأمسك سيفه القصير فى قوة ، فى حين قال (قدرى) مذعورًا :

- إنهم .. إنهم يحيطون بنا .. يحاصروننا .

تلفتت حولها فى توتر ، قائلة :



وبحركة حادة ، اعتدل العملاق الأسود أيضًا ، وأمسك سيفه القصير فى قوة ، فى حين قال (قدرى) مذعورًا : ـ إنهم ! . .

ـ السؤال الفعلى هو .. من هم بالضبط ؟!

لم تكد تتم سؤالها ، حتى برزت عدة وجوه حولهم ، من وسط الأحراش ..

وجوه بدائية مخيفة ، اصطبغت بطلاء الحرب ..

وبكل ذعر الدنيا ، هتف (قدرى) :

ـ أكلة لحوم البشر .

وترددت صيحته المذعورة فى قوة وسط الأحراش ..

ثم تلاشت فى سرعة ..

تلاشت تمامًا ..

* * *

« (كوادروس) استعاد وعيه أيها القائد .. »

نطق (لاماس) العبارة فى شىء من الارتياح ، فالتفت إليه (أندروفيتشى) فى بطء ، وقال فى اقتضاب :

ـ عظيم .. متى يمكنه العودة للعمل ؟!

أتاه صوت (كوادروس) نفسه ، وهو يقول :

ـ على الفور أيها القائد .

التفت إليه (أندروفيتشى) فى هدوء ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، قائلاً :

- فترة طويلة تلك ، التى فقدت خلالها وعيك يا (كوادروس) .. هل كان الدرس قاسيًا إلى هذا الحد ؟!

بدا الغضب على وجه (كوادروس) ، وهو يقول :

- ذلك الرجل باغتنى أيها القائد ، ولولا هذا لما ...

قاطعه (أندروفيتشى) بإشارة من يده ، قائلاً فى صرامة :

- لا عليك يا (كوادروس) .. لست أوّل من يتلقَى درسًا قاسيًا ، من (أدهم صبرى) .

ابتسم (لاماس) فى سخرية أيضًا ، فهتف (كوادروس) فى عصبية ، وهو يتحسَّس الضمادات التى تغطى وجهه :

- إن أحدًا لم يفعل بى هذا من قبل قط أيها القائد .. لقد فأجأنى الرجل ، ولم أستطع أن ..

قاطعه (لاماس) هذه المرة فى سخرية لاذعة :

- كفى يا (كوادروس) .. الأمر لا يستحق كل هذه التبريرات .

التفت إليه (كوادروس) فى غضب ، هاتفًا :

- لست أحاول تبرير أى شىء يا (لاماس) ..

الرجل باغتنى بالفعل ، وعندما أواجهه فى المرة القادمة ، سوف ترى من منا سيلقّن الآخر درسًا قاسيًا .

اتسعت ابتسامة (لاماس) الساخرة ، وهو يقول :

- فى المرة القادمة .

قالها ، وأطلق ضحكة عالية طويلة ، احتقن لها وجه (كوادروس) ، فأطلق سبابًا بذيئًا ، لم يرق لـ (أندرفيتشى) ، الذى قال فى صرامة :

- الرجل لقى مصرعه يا (كوادروس) .

التفت إليه (كوادروس) فى حدة ، هاتفًا :

- لقى مصرعه ؟! كيف ؟! من قتله ؟!

انتفخت أوداج (أندروفيتشى) وهو يقول :

- أنا .. أنا قتلت (أدهم صبرى) .

هتف (كوادروس) :

- رائع .. هذا يستحق الاحتفال .

صبّ (لاماس) لنفسه كأسًا من الخمر ، وهو يقول فى سخرية :

- احتفال آخر ؟! ألا يكفيك هذا المهرجان يا رجل ؟!

قال (كوادروس) فى حدة :

- ليس هذا من شأنك .

هزَّ (لاماس) كتفيه فى لا مبالاة ، وارتشف رشفة من كأسه ، قائلاً :

- بمناسبة المهرجان .. لماذا لا نسمح للرجال بالاحتفال أيها القائد .. لقد بذلوا جهدًا كبيرًا ، ومن حقهم أن ...

قاطعه (أندروفيتشى) فى صرامة :

- ليس الآن .

سأله (لاماس) فى بساطة :

- لماذا ؟! إنهم يجلسون بأسفل ، وليس لديهم ما يفعلونه ، فى حين يحتفل كل شخص آخر فى المدينة .. لماذا لا ينضمون إلى المحتفلين ، فى قاعة الفندق على الأقل .. إنهم بحاجة إلى بعض المرح ، مادامت المهمة قد انتهت فعليًا .

صمت (أندروفيتشى) بضع لحظات ، وهو يتساءل فى أعماقه عن السبب الفعلى ، الذى جعله يرفض احتفال الرجال ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

- فليكن ، ولكن مُرْهم ألا يبتعدوا كثيرًا .

ابتسم (لاماس) ابتسامة واسعة ، وقال :

- لا بأس أيها القائد .. لا بأس .. سيسعدهم هذا كثيرًا .

قالها ، واندفع يغادر الحجرة ؛ لينقل الخبر إلى الرجال ، فى حين غمغم (كوادروس) فى عصبية :

- أراهن أنه هو الذى يبحث عن المرح .

لوَّح (أندروفيتشى) بيده ، قائلاً :

- لا بأس .. دعه يحصل عليه .. لقد قتلنا الهدف وانتهى الأمر ، والجميع يمكنهم الحصول على مكافأة مناسبة .

انطلق رنين الهاتف فى تلك اللحظة ، فالتقطه (كوادروس) بحركة تلقائية ، وهو يقول فى خشونة وغلظة :

- من المتحدِّث ؟!

وصمت لحظة فى اهتمام ، ثم ناول الهاتف للروسى ، قائلاً :

- إنه المفتش (أورتيجا) ، يتحدَّث من استقبال الفندق ، ويطلب الصعود لمقابلتك على الفور .. يقول : إن الأمر عاجل للغاية .

تطلَّع (أندروفيتشى) إلى الهاتف ، ثم أشار بيده ، قائلاً :

ـ دعه يصعد .

استعاد (كوادروس) الهاتف ، قائلاً بنفس الغلظة والخشونة :

ـ إنه فى انتظارك أيها المفتش .

لم تمض دقيقتان ، حتى كان المفتش (أورتيجا) يدلف إلى حجرة (أندروفيتشى) فى الفندق ، قائلا فى حدة :

ـ هل تدرك كم سببت لى من مشكلات يا سنيور (أندروفيتشي) ؟

تجاهل الروسى قوله ، وهو يشير إليه بالجلوس ، قائلاً فى برود :

ـ تفضَّل أيها المفتش .. أيهما تفضِّل .. الويسكى أم ...

قاطعه (أورتيجا) فى حدة :

ـ مصرع الطيَّار قلب الدنيا على رءوسنا ، وقائد الشرطة يطلب تقريرًا عاجلاً عن الموقف ، ورجال الأدلة الجنائية يتساءلون عن كيفية سقوط الرجل من الهليوكوبتر ، مع وجود حزام النجاة ، ومع كونه طيَّارًا محترفًا ، عمل لأكثر من سبع سنوات ، فى القوات الجوية البرازيلية ..

قال (أندروفيتشى) فى هدوء :

ـ كل شىء يمكن حله .

هتف (أورتيجا) :

ـ كيف ؟! الموقف مشتعل للغاية ، القائد ألغى إجازة المهرجان ، وطالب بالتحقيق فى الأمر على الفور ، ورفع التقرير النهائى إليه ، قبل ظهر الغد .

وأطلق زفرة مشتعلة من أعماقه ، قبل أن يستطرد فى عصبية بالغة :

ـ يبدو أن هذه الليلة لن تنتهى أبدًا .

كرَّر (أندروفيتشى) فى برود ، وهو يشبك أصابع كفيه أمام وجهه :

ـ كل شىء يمكن حله أيها المفتش :

لوَّح (أورتيجا) بذراعه كلها ، هاتفًا :

ـ كيف ؟! كيف ؟

ارتسمت ابتسامة باردة على شفتى الروسى ، وهو يجيب :

ـ بالنقود .. الدولارات .. تلك الأوراق السحرية الخضراء ، التى تتغيَّر لمرآها كل الحقائق ، ويتحوَّل معها الأبيض إلى أسود ، والعكس بالعكس .

حدّق (أورتيجا) فى وجهه بدهشة ، وقال :

- سنيور (أندروفيتشى) .. هل تفكّر فى شراء الجميع ؟!

هزّ (أندروفيتشى) كتفيه ، وقال :

- ولِمَ لا ؟! لكل شخص ثمنه ، وعندما تبدو سخيًا ، ينحنى أمامك الجميع .

قال (أورتيجا) فى عصبية :

- لا يمكن أن ينطبق هذا على الجميع .. هناك من سيرفضون بيع أنفسهم حتمًا .

ابتسم (أندروفيتشى) فى سخرية ، قائلاً :

- عندما لا يناسبهم الثمن فحسب يا رجل .

تراجع (أورتيجا) ، وهزّ رأسه فى شدة ، وهو يقول :

- إنها ليست دائمًا مسألة ثمن يا سنيور (أندروفيتشى) ، ولكن .

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع رنين هاتف (أندروفيتشى) المحمول ، فأشار إلى (أورتيجا) بالصمت ، وهو يلتقطه من جيبه فى سرعة ، ويضغط زر التحدّث ، قائلاً :

- (أندروفيتشى) .

جاوبه صمت مطبق ، استغرق لحظة واحدة ، قبل أن ينقطع الاتصال بغتة ، فانعقد حاجبا الروسى فى شدة ، على نحوٍ جعل المفتش (أورتيجا) يعتدل فى توتر ، قائلا :

- ماذا حدث ؟!

صمت (أندروفيتشى) بعض الوقت ، وهو يتطلّع إليه فى شىء من الشرود ، قبل أن يغلق هاتفه المحمول ، ويعيده إلى جيبه ، قائلا :

- لا شىء .. لا شىء يستحق الذكر .

كان ، على عكس ما يبدو ، يشعر بتوتر شديد فى أعماقه ، بسبب هذا الاتصال العجيب ..

إنه يحمل هاتفًا محمولاً محولاً ، من طراز خاص للغاية ، لا يعرف رقمه سوى عدد محدود ، لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، فى العالم أجمع ..

فمن منهم أجرى هذا الاتصال القصير ؟!

أو مَنْ سواهم ؟!

ولماذا لم يتحدّث إليه ؟!

لقد كان هناك شخص ما حتمًا ، على الجانب الآخر للخط ..

أنفاسه كانت مسموعة فى وضوح ، وكأنما يتعمَّد هذا ..

شخص أراد أن يبلغه أن لديه رقم هاتفه الخاص .. الخاص جدًا ..

فمن يكون هذا الشخص ؟!

من ؟!

من ؟!

« هل أقلقتك تلك المحادثة المحدودة إلى هذا الحد يا سنيور ؟! »

انتزعه سؤال المفتش من أفكاره ، فأجاب فى سرعة وصرامة :

ـ إنها لم تقلقنى على الإطلاق .

ثم وضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وشدّ قامته ، وهو يعتدل على مقعده ، ليمنح نفسه هيئة الرجل الواثق من نفسه ، مستطردًا :

ـ والآن دعنا نواصل حديثنا ، حول شراء النفوس والضمائر .. كم تحتاج لرشوة الجميع .

ردَّد المفتش فى دهشة :

ـ الجميع ؟!

أشار الروسى بيده ، قائلاً فى حزم :

ـ نعم .. الجميع أيها المفتش .. رجال التحريات ، والبحث ، والأدلة الجنائية ، والأطباء الشرعيون ، وحتى رئيس الشرطة نفسه .. كم يتطلب هذا .. مليون أم مليونين ؟!

اتسعت عينا (أورتيجا) فى شدة للرقم ، وقال فى عصبية :

ـ المسألة ليست مسألة مبلغ يا سنيور ، فالبعض مازال يتعامل بتلك المبادئ القديمة ، ويرفض بيع ذمته وضميره ، مهما كان الثمن .

مطّ (أندروفيتشى) شفتيه ، قائلاً :

ـ سيكون هذا من سوء حظ تلك الفئة .

مال المفتش برأسه إلى الأمام ، وأطلّ من عينيه مزيج من القلق والتوتر والتساؤل ، فتابع (أندروفيتشى) فى صرامة :

ـ إنه أمر لا يحتمل الهزل يا رجل ، فإما أن نبتاع ذمم من يعترضون طريقنا ، أو نزيحهم عن هذا الطريق تمامًا . هل تفهمنى ؟!

امتقع وجه المفتش ، وتراجع فى بطء ، مغمغمًا :

ـ يا للشيطان ! إنك تزيد من صعوبة الأمر يا سنيور .

لوّح (أندروفيتشى) بكفه ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن ارتفع صوت طرقات على الباب ، فانعقد حاجباه ، وهو يلتفت إلى (كوادروس) ، ويشير إليه بتحرّى الأمر ..

وانتزع (كوادروس) مسدسه من حزامه ، وهو يتقدّم نحو الباب فى حذر ، وسأل بصوته الأجش الغليظ :

- من بالباب ؟!

أتاه صوت يقول :

- خدمة الغرف .. لدى طرد عاجل للسنيور (يورى ميخائيل أندروفيتشى) .

لم يكد الروسى يسمع اسمه كاملاً ، حتى قفز من مقعده ، واستلّ مسدسه بدوره ، وهو يشير إلى (كوادروس) فى توتر ، جعل هذا الأخير يقول فى حدة صارمة :

- ابتعد عن الباب يا رجل .. ثلاث خطوات على الأقل .

وفى عصبية ، لم يمكنه إخفاءها ، تقدم (أندروفيتشى) نحو الباب ، وبركان ثائر يتفجّر فى

أعماقه ، ويصبّ حممه الملتهبة فى عروقه ..

من ذا الذى يعرف اسمه كاملاً ؟!

حتى السنيورا نفسها لا تعرف اسم والده (ميخائيل أندروفيتشى) هذا !!

إنه اسم لم يرد قط ، فى أية أوراق رسمية ، بخلاف ملفه الأساسى ، أيام عمله فى المخابرات السوفيتية ..

من ذا الذى توصّل إليه إذن ؟!

وفى عصبية مفرطة ، أشار إلى (كوادروس) ، الذى وثب إلى الأمام ، وفتح الباب بحركة حادة ، وهو يصوّب مسدسه إلى الرجل الواقف خلفه ..

وشهق عامل خدمة الغرف فى ذعر ، وتراجع صائحًا :

- أنا لم أفعل شيئًا يا سنيور .. لم أفعل شيئًا .

واصل (كوادروس) تصويب مسدسه إلى الرجل ، وهو ينقل بصره بينه وبين (أندروفيتشى) ، فى انتظار أوامر هذا الأخير ، الذى سأل العامل فى صرامة :

- ما الذى تحمله يا رجل ؟!

ارتجف العامل المسكين ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يجيب فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ لست أدرى يا سيدى .. أقسم أننى لست أدرى .. لقد تركه أحدهم فى استقبال الفندق ، وطلب تسليمه على الفور ، للسنيور (يورى ميخائيل أندروفيتشى) ، وقال : إنها هدية العيد .

تطلع إليه (أندروفيتشى) لحظة بنظرة متمعنة ، أدرك بعدها أن الرجل يرتجف ذعرًا بالفعل ، فأشار إلى (كوادروس) ، قائلاً :

ـ تسلم الطرد .

أسرع (كوادروس) يلتقط الطرد من العامل ، الذى لم يكد يسلمه إياه ، حتى انطلق يعدو مبتعدًا ، وكأنما لا يصدق إنه قد نجا ، فى حين أغلق (كوادروس) الباب بدفعة من قدمه ، وهو يتساءل :

ـ ترى ما الذى يحويه هذا الطرد بالضبط ؟!

قفز (أورتيجا) من مقعده ، هاتفًا :

ـ حذار أن تفتحه على الفور يا سنيور (أندروفيتشى) .. دع خبراء المفرقعات يفحصونه أولاً .. ربما كانت بداخله قنبلة .

وضع (أندروفيتشى) الطرد على المنضدة ، ومزق الورق المحيط به فى حذر ، وهو يقول :

ـ لم يعد هناك من يستخدم هذا الأسلوب العتيق يا رجل .

تراجع (أورتيجا) فى خوف ، قائلاً :

ـ من قال هذا ؟!

تطلع (أندروفيتشى) إلى العلبة الورقية البسيطة ، التى كشفت عنها أوراق الغلاف الملونة ، ثم انتزع غطاءها ، قائلاً فى صرامة :

ـ أنا .

انتفض جسد (أورتيجا) فى عنف ، عندما رفع الروسى غطاء العلبة ، وخيل إليه أن قنبلة ما داخلها ستنفجر فى عنف ، وتطيح بهم جميعًا فى لحظة واحدة ، إلا أن شيئًا من هذا لم يحدث ، وإنما انعقد حاجبا (أندروفيتشى) فى شدة ، وتراجع بحركة شديدة العنف والحدة ، فى حين قال (كوادروس) فى حيرة ، وهو يتطلع إلى ذلك الشىء داخل العلبة :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

مال (أورتيجا) برأسه ، ليتطلع إلى ذلك الشىء ، الذى أثار حيرة (كوادروس) ، ورد فعل قائده العنيف ،

ولم يكد بصره يقع على ما فى العلبـة ، حتى انطلقت منـه شـهقة قويـة ، وتراجـع بنفس العنف والحـدة ، اللذين تراجـع بهمـا (أندروفيتشى) مـن قبل ، وهـو يهتف :

ـ يا للشيطان !

فداخل العلبة الورقية ، استقرَّت سترة من مـادة (الكيفلار) المضاد للرصاص ، وفى موقع الصدر منها انسحقت ست رصاصات ..

وكان هذا يعنى الكثير ..

الكثير جدًّا ..

★ ★ ★

فرك البروفيسير (ميخائيل استروتيسكى) ، خبير الطاقة الذرية الإسرائيلى ، عينيه فى إرهاق ، وهو يقف أمام السنيورا فـى مكتبهـا ، قـائلاً فـى توتـر وارتباك :

ـ أخبرونى أنـك تطلبيـن مقـابلتى علـى الفـور يا سنيورا .

نفثت السنيورا دخان سيجارتها فى عصبية ، وهى تسأله مباشرة :

ـ كم من الوقت يمكننا اختصاره يا (استروتيسكى) ؟

بدت عليه الحيرة ، وهو يفرك عينيه مرة أخرى ، متسائلاً فى حذر :

ـ ماذا تعنين يا سنيورا ؟!

صاحت به فى غضب :

ـ استيقظ يا رجل .. انعش عقلك ، واستمع إلىَّ جيِّدًا ، وحـاول أن تفهم كل كلمة أنطق بها ، فـور خروجها من بين شفتىَّ .

بذل (استروتيسكى) كل طاقته ، ليعتدل فى وقفته ، وينفض عنه كل النعاس والكسل ، قائلاً فى ارتباك :

ـ كلى آذان مصغية يا سنيورا .

صاحت به فى صرامة :

ـ كم من الوقت يمكننا اختصاره ؟!

ازدرد لعابه فى صعوبة ، وقال :

ـ هل تقصدين بالنسبة لإنتاج القنابل الذرية ؟!

احتقن وجهها ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عصبية ، قائلة :

ـ هل فقدت قدرتـك على الفهم يـا رجل ، أم أنـك تحتاج إلى رصاصة تنعش ذاكرتك وعقلك ؟!

سرت فى جسده قشعريرة باردة ، وهو يجيب فى سرعة :

ـ هذا يتوقف على عوامل شتى يا سنيورا .. فترات العمل ، وزمن تشغيل المفاعل ، وكمية القنابل المطلوب إنتاجها ، وقدراتها التفجيرية ، و ...

صاحت به :

ـ اختصر يا رجل .. أريد نتائج نهائية ، وليس وصفًا تفصيليًا للأحداث .. هيا .. كم يمكننا اختصاره من وقت ؟!

ازدرد لعابه مرة أخرى ، وهو يدير كفيه ، قائلاً :

ـ ما بين ست ساعات ويوم كامل ، وهو يتوقف على ...

قاطعته فى حدة :

ـ كيف يمكننا توفير يوم كامل يا رجل ؟!

أشار بسبابته لحظة فى صمت ، وبدا وكأنه يدير الأمور فى رأسه ، بأقصى سرعة ممكنة ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ بأن نخفض كمية القنابل المطلوب إنتاجها إلى النصف ، مع خفض عشرين فى المائة من قدرتها

التفجيرية ، ومضاعفة ساعات العمل ، مع تشغيل المفاعل بأقصى طاقته طوال الوقت .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تعيد دراسة الأمر فى رأسها جيدًا ، ثم نفثت دخان سيجارتها فى وجهه ، وهى تقول :

ـ وماذا لو أننا فعلنا كل هذا ، فيما عدا تخفيض القدرة التفجيرية للقنابل ؟!

هزّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ سيمنحنا هذا عشرين ساعة فحسب ، ولكن ..

قاطعته فى عصبية :

ـ ولكن ماذا ؟!

تردَّد لحظة ، ثم أجاب :

ـ ولكن تشغيل المفاعل بأقصى طاقته طوال الوقت ، قد يسبِّب مشكلات أخرى .

سألته فى انفعال :

ـ مشكلات مثل ماذا ؟! هل يمكن أن ينفجر مثلاً ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يجيب فى حذر :

ـ لا يمكننى فى الواقع إجابة هذا السؤال فى دقة .. إنه يحتاج إلى خبير فى المفاعلات الذرية ، مثل (جولهى) ..

التقى حاجباها مرة أخرى ، ثم اندفعت نحو هاتفها الخاص ، وقالت بلهجة آمرة صارمة :

- أريد البروفيسير (جولهى) .. (دوران جولهى) .

ارتفع حاجبا (استروتيسكى) فى دهشة ، مع توترها الشديد هذا ، وسألها فى حذر :

- يبدو أن الوقت صار عاملاً غاية فى الخطورة يا سنيورا .. أليس كذلك ؟!

واجهته بنظرة صارمة ، قائلة :

- إنه كذلك دائمًا .. أنت تعمل وخصمك يعمل ، والظافر فى النهاية هو من يبلغ الهدف قبل الآخر .

واكتسب صوتها رنة صارمة مخيفة ، وهى تضيف :

- ولقد قررت أن أكون أول من يبلغ الهدف .. مهما كان الثمن .

قالتها ، وهى تعنى كل حرف منها ..

إنها ستقاتل بكل قوتها ، حتى تبلغ الهدف قبل أى شخص آخر ..

ومهما كان الثمن ..

مهما كان .

* * *

٨ - الزئبق ..

ارتجف جسد (قدرى) كثيرًا وطويلاً فى تلك الليلة ، حتى خُيِّل إليه أنه سيواصل ارتجافته هذه إلى الأبد ، ولن يتوقف قط ، حتى آخر لحظة فى عمره ..

وبينما كان يسير مع (منى) ، بين صفين من البدائيين ، فى قلب الأدغال البرازيلية ، بدا له أن تلك اللحظة الأخيرة لن تتأخر كثيرًا ..

بل ستأتى بعد قليل ..

قليل جدًا ..

وفى توتر بلا حدود ، مال على أذن (منى) ، هامسًا :

- هل تعتقدين أنهم يقتلون ضحاياهم أولاً ، أم أنهم سيضعوننا فى تلك القدور الكبيرة ، ونحن على قيد الحياة ؟!

سألته فى سخرية عصبية :

- وهل يصنع هذا فارقًا ؟!

أجابها فى استسلام عجيب :

ـ لا أحب أن أتعذب ، قبل أن أموت .

تطلعت إلى الرجال ، الذين يسيرون على الجانبين ، والطلاء على وجوههم ، ثم إلى العملاق الأسود ، الذى مازال يسير أمامهم ، حاملا الحقيبتين ، ثم قالت :

ـ هؤلاء القوم لا يبدون كأكلة لحوم البشر يا (قدرى) .

قال فى عصبية :

ـ وكيف يبدو أكلة لحوم البشر ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ لست أدرى كيف يبدون ، ولكنهم لن يتعاملوا معنا بهذا الاحترام بالتأكيد .. إنهم يبدون لى أشبه بوفد استقبال رسمى ، منهم برجال أضناهم الجوع ، وخرجوا فى قلب الليل ، للبحث عن طعام بشرى .

صمت لحظة ، مديرًا عينيه فى وجوه الجميع ، قبل أن يغمغم :

ـ أتعشم هذا يا عزيزتى .. أتعشم هذا .

كان هذا آخر ما تبادلاه من حديث ، طوال مسيرتهما فى قلب الأدغال ، حتى وجدا نفسيهما فجأة خارج منطقة الأغصان المتشابكة ، وأمامهما ما يشبه قرية

بدائية كبيرة ، انتشرت فيها عدة مشاعل صغيرة ، وتجمع سكانها كلهم تقريبًا فى ساحتها ، وكأنهم ينتظرون وصولهم بالتحديد ..

ومرة أخرى ، ارتجف صوت (قدرى) ، وهو يقول :

ـ رباه ! مع كل هذا العدد ، لن يكفى جسدى كله لأكثر من وجبة واحدة .

لم تحاول (منى) حتى التعليق على عبارته ، مع كل ما تشعر به من توتر وإجهاد وحيرة ..

لقد قطعت مسافة طويلة على قدميها وسط الأدغال ، وهى التى لم تنته فترة علاجها الطبيعى إلا منذ أيام قليلة ..

ثم إنها ما زالت تجهل ما يحدث ..

ما هذه القرية ؟!

من هؤلاء الرجال ؟!

ما صلتهم بذلك العملاق الأسود ؟!

وما صلة (أدهم) بكل هذا ؟!

عشرات الأسئلة عربدت فى رأسها ، وهى تمضى مع (قدرى) ، حتى منتصف ساحة القرية ، وعيون الجميع تتطلع إليهما فى اهتمام بالغ ..

ثم تحدَّث العملاق الأسود ..

تحدَّث إلى رجال القرية فى حماس ، وهو يشير إليهما ..

ولم يفهم أحدهما حرفًا واحدًا ، مما تحدَّث به العملاق ..

لم تفهم (منى) ، أو تستوعب ، سوى كلمة واحدة ، سبق أن سمعت العملاق ينطق بها من قبل ، عندما حملهما إلى الزورق الآلى ..

أومو بيلجروسو ..

لقد نطقها العملاق الأسود ، فى هذه المرة أيضًا ، وهو يشير إليهما ، فأطلَّ الانبهار والاحترام من كل العيون ، واقترب منهما شخص ، يبدو من هيئته أنه زعيم الرجال ، وراح يلوِّح بيديه ، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة ، ويتحدَّث فى حماس ، بكلمات لم يمكنهم أن يفهموا منها سوى الكلمة نفسها ..

أومو بيلجروسو ..

وفى حيرة متوترة ، قال (قدرى) :

- ماذا يحدث هنا بالضبط ؟!

هزَّت (منى) رأسها فى حيرة أكثر ، قائلة :

- لست أدرى .. إنهم يستقبلوننا بمنتهى الاحترام والاهتمام ، ويرددون الكلمة نفسها .. أومو بيلجروسو ، وهى تعنى شيئًا ما بالتحديد ، و ..

قاطعها صوت أنثوى مألوف ، يقول بالعربية :

- أومو بيلجروسو كلمة برتغالية ، تعنى الرجل الخطير ، وهم يستخدمونها إشارة إلى زميلنا المشترك .. (أدهم صبرى) .

التفت الاثنان فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وهتفت (منى) فى انفعال :

- (جيهان) ؟!

رمقتها (جيهان) بنظرة طويلة ، تفحَّصتها من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، قبل أن تقول ، فى لهجة لم ترق أبدًا لـ (منى) :

- نعم يا زميلتى العزيزة .. أنا (جيهان) ، بلحمها وشحمها ، و ...

ومرَّرت أصابعها على شعرها الأشقر الطويل ، قبل أن تضيف بلهجة خاصة :

- وجمالها .

أدركت (منى) على الفور ما تعنيه (جيهان) ،

فالتقى حاجباها فى ضيق ، فى حين تهلَّلت أسارير (قدرى) ، وهو يهتف فى سعادة :

- (جيهان) ؟! مرحى يا عزيزتى .. إذن فأنت بخير .. كنت أخشى أن ..

قاطعته (جيهان) بلهجة ساخرة :

- لا تخش شيئًا يا عزيزى (قدرى) .. ليس من السهل التخلص منى .

ورمقت (منى) بنظرة جانبية ، قبل أن تستطرد فى خبث :

- أبدًا .

شعرت (منى) بغصة فى حلقها ، مع هذا الأسلوب الملتوى ، وقرَّرت تجاوز الأمر كله ، قبل أن تضطر للاشتباك مع (جيهان) ، فسألتها فى حزم :

- ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟! لماذا يستقبلنا هؤلاء القوم بكل الاحترام والتوقير ؟!

هزت (جيهان) كتفيها ، قائلة :

- لأنكم تتبعون (أدهم) .. الأومو بيلجروسو .. منقذهم الأسطورى ، الذى ينتظرونه منذ مئات السنين .

بدت الدهشة على وجه (قدرى) ، وغمغمت (منى) فى حيرة :

- منقذهم الأسطورى ؟! ماذا يعنى هذا ؟!

رفعت (جيهان) أحد حاجبيها ، وهى تقول :

- الكثير .

ثم أشارت إلى العملاق الأسود ، قائلة فى صرامة آمرة :

- (بترو) .. ضع الحقائب هنا .

أطاعها العملاق الأسود على الفور ، على الرغم من أنه لم يفهم حرفًا واحدًا ، مما نطقته بالعربية ، فى حين التفتت (جيهان) إلى (منى) و (قدرى) ، قائلة :

- أعتقد أن الفضول واللهفة يكادان يلتهمانكما بلا رحمة ، لرغبتكما فى معرفة تفسير ما يحدث هنا .

أجابها (قدرى) فى سرعة :

- بالتأكيد .

أشارت (جيهان) بيدها إلى الكوخ الكبير ، الذى نقل إليه (بترو) الحقيبتين ، وقالت :

- فليكن .. سأروى لكما كل شىء ، بينما يعالج ساحر القرية إصابة (قدرى) .

ردَّد (قدرى) بدهشة بالغة :

- ساحر القرية ؟!

ولكنه دلف بسرعة إلى الكوخ ، وجلس على أرضيته ، وهو يتأوّه ألمًا ، فى حين عقدت (جيهان) ساعديها أمام صدرها ، ورمقت (منى) بنظرة جانبية أخرى ، قبل أن تقول :

- الواقع أنها قصة عجيبة .. عجيبة للغاية .

قالتها ، لتجذب انتباههما بشدة ، و ..

وبدأت تروى .

* * *

« إنه هنا .. » .

نطق (أندروفيتشى) الكلمة فى عصبية واضحة ، حطّمت هدوءه الأسطورى ، وهو يقبض على مسدسه فى قوة ، ويتلفّت حوله فى توتر ، جعل وجه (أورتيجا) يمتقع فى شدة ، ودفع (كوادروس) إلى أن يقول فى قلق :

- من هو ؟!

أجابه (أندروفيتشى) فى حدة :

- (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

ارتفع حاجبا (كوادروس) فى شدة ، وهو يهتف :

- (أدهم صبرى) ؟! ألم تقل إنك قد قتلته أيها القائد ؟!

أجابه (أندروفيتشى) ، وهو يتلفّت حوله فى عصبية زائدة :

- كنت أتصوّر هذا أيها الغبى .. لقد أطلقت ست رصاصات على صدره مباشرة ، ورأيته يسقط فى المحيط .

قال (كوادروس) فى سرعة :

- ولقى مصرعه .

لوّح (أندروفيتشى) بيده فى قوة ، قائلاً :

- هذا ما كنا نعتقده جميعًا ، ولكن الرسالة واضحة .. سترة مضادة للرصاص ، بها موضع ست رصاصات ، فى صدرها مباشرة .. إنه يسخر منا ويرسل إلينا السترة المضادة للرصاص ، التى كان يرتديها فى الهليوكوبتر ، عندما أطلقت عليه النار .. إنها وسيلته ليخبرنا أنه قد نجا .

قال (أورتيجا) بعصبية مماثلة :

- وأنه هنا .

انعقد حاجبا (كوادروس) فى شدة ، وهو يكرّر :

ـ هنا ؟!

قال (أندروفيتشى) فى صرامة :

ـ نعم .. هنا .. (أدهم صبرى) على مقربة منا .. حولنا .. يراقبنا .. يسخر منا .. يلعب معنا لعبة ذكية ، لتحطيم أعصابنا ، ودفعنا إلى ارتكاب أخطاء وحماقات ، يمكنه الاستفادة منها ، للإيقاع بنا جميعًا .

ازداد انعقاد حاجبا (كوادروس) فى عصبية ، وهو يتحسَّس تلك الضمادات على وجهه ، فى حين استلَّ (أورتيجا) مسدسه بدوره ، وهو يقول :

ـ لن يفلت منا .. سنحاصر المنطقة كلها ، أنا ورجالى ، و ...

قاطعه (أندروفيتشى) فى صرامة :

ـ كلاً أيها المفتش .. لن تفعل هذا .

قال (أورتيجا) فى حدة :

ـ لماذا ؟! إنها فرصتنا لـ ..

قاطعه (أندروفيتشى) مرة أخرى ، بنفس الصرامة :

ـ كلاً أيها المفتش .. لن تتحرَّك حركة واحدة فى هذا الأمر ، دون أوامر مباشرة منى ؛ لأن ما تنوى فعله هو بالضبط ما يسعى إليه (أدهم صبرى) .. قرارات

انفعالية سريعة ، غير مدروسة .. لا أيها المفتش .. لن أسمح بأية حماقات ، فى هذه اللحظات بالذات .

حدَّق (أورتيجا) فى وجهه بدهشة ، وهو يقول :

ـ ولكنها فرصتنا يا سنيور (أندروفيتشى) .. الرجل فى مكان ما حولنا ، ولو حاصرنا المنطقة جيدًا ، فسيقع حتمًا فى قبضتنا .

قال (أندروفيتشى) فى سخرية عصبية :

ـ يقع فى قبضتكم ؟! هل تتصوَّر أن هذا أمر سهل يا رجل ؟! إنك إذن تجهل تمامًا من هو (أدهم صبرى) .. إنه ليس شخصًا عاديًّا ، يمكنك أن تحكم قبضتك حوله .. إنه أشبه بالزئبق .. عندما تتصوَّر أنه فى قبضتك ، تجده ينزلق من بين أصابعك فى سرعة ، كما لو أنك لم تقبض عليه قط .

حدَّق المفتش لحظات أخرى فى وجهه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم قال فى عصبية :

ـ هل سنتركه يمرح هنا ، دون أن نفعل شيئًا ؟!

صمت (أندروفيتشى) طويلاً هذه المرة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ كلا أيها المفتش .. لن نقف ساكنين ، ولكننا

سنتحرك هذه المرة دون توتر أو انفعال .. وطبقًا لخطتى أنا .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد :

- إننى لن أتنازل ببساطة عن ذلك اللقب ، الذى حصلت عليه مؤخرًا .

وارتجف صوته فى انفعال حازم صارم ، وهو يضيف :

- لقب الرجل الذى قتل (أدهم صبرى) .. الأسطورة .

* * *

المهرجان السنوى فى (ريو دى جانيرو) ، لا يشبه أى مهرجان آخر ، فى الدنيا كلها ..

المدينة كلها تتحوَّل إلى شعلة من الأضواء والنشاط والحيوية ، منذ غروب الشمس ، وحتى شروقها ، دون أن يتوقَّف كل هذا لحظة واحدة .

المدينة كلها تظل ساهرة ، ترقص وتمرح ..

الفرق الموسيقية والغنائية فى كل الشوارع الرئيسية ..

فيض من البشر فى ثياب تنكرية ، يملأ الطرقات ..

نماذج ضخمة لكل أبطال الروايات الشهيرة ، يدفعها الرجال فى الطرقات ، وفوقها راقصين وراقصات ..

وربما بعض مشاهير نجوم المسرح والسينما أيضًا ..

واحتفالات المهرجان هذه لا تقتصر على الشوارع والطرقات ، وإنما تمتدّ إلى كل مكان فى (ريو) بلا استثناء ..

المنازل ..

النوادى ..

الملاهى الليلية ..

والفنادق ..

وفى ذلك الفندق ، الذى يقيم فيه (أندروفيتشى) ورجاله ، كان هناك احتفال كبير ، اعتاد الفندق إقامته ، فى الموعد نفسه من كل عام ..

ومع الهرج والمرج ، والخمر الذى يراق أنهارًا ، والموسيقى الصاخبة والراقصات الحسان ، غاب رجال السنيورا حتى النخاع ، وغرقوا فى نهر من العبث والمرح ، خلب لُبِّهم ، وشغلهم عن كل ماعداه ..

وفى غمرة اللهو ، هتف أحد الرجال بزميليه :

- مرحى يا رجال .. هكذا تكون الحياة .. إننى لم أشعر بمثل هذه المتعة ، منذ عملت مع السنيورا .. من الضرورى أن نخرج لمطاردة شخص ما ، فى (ريو دى جانيرو) ، فى مثل هذا الوقت من كل عام .

ضحك أحد زميليه ، قائلاً :

- يمكننا اعتباره نوعًا من التدريب ، مثل المناورات الحية ، التى يقوم بها رجال الجيش .

قهقه الثالث ضاحكًا ، وقال :

- الواقع أن كل شىء هنا يجعلها مناورة حية للغاية .

ثم غمز بعينه ، مشيرًا إلى فريق الراقصات ، مستطردًا :

- هل ترى ؟! إنهن ينبضن بالحياة .

هتف الثانى فى لهفة :

- هل تعتقد أنهن يمكن أن يستجبن لمغازلتنا ؟

انفرجت شفتا الأول ، ليقول شيئًا ما ، ولكن صوتًا هادئًا قاطعه قائلاً :

- المشكلة أنه لن يكون لديكم الوقت لهذا .

التفت الثلاثة فى حركة حادة إلى مصدر الصوت ، وتطلعوا فى عصبية إلى رجل ممشوق القوام ، طويل الشعر ، له شارب ضخم ، ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، وهو يتابع :

- فقد انتهى الحفل بالنسبة لكم .

سأله أحدهم فى صرامة :

- من أنت يا رجل ؟! وما شأنك بنا ؟!

أجابه الرجل بنفس الهدوء :

- أنا أحد رجال المفتش (أورتيجا) ..

سأله الرجل الثانى فى حدة :

- وماذا تريد منا يا رجل المفتش (أورتيجا) ؟!

أجابه الرجل بسرعة :

- ذلك المصرى ما زال على قيد الحياة .

هتف الثلاثة فى آن واحد ، وبدهشة بالغة :

- على قيد الحياة ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. سنيور (أندروفيتشى) يكاد يشتعل غضبًا لهذا ، ولقد أخبرنى ، هو والمفتش (أورتيجا) ، أنه يريدكم جميعًا فى حجرته على الفور .. هناك خطة شاملة ، للإيقاع بذلك الرجل .

تبادل الرجال الثلاثة نظرة بالغة التوتر ، ثم أشار أحدهم لزميليه ، قائلاً :

- هيا بنا .

اندفع ثلاثتهم مع رجل المفتش نحو مصعد الفندق ، وما أن أصبحوا داخله ، حتى ابتسم الرجل الهادئ ، وقال فى سخرية عجيبة :

- عجبًا ! لم أتصوَّر أبدًا أن الأمر سيتم بهذه البساطة .

ضغط أحد الرجال الثلاثة زر الطابق الثالث ، وهو يسأل :

- أى أمر ؟!

انتزع الرجل شاربه الكث المستعار بغتة ، وهو يجيب فى سخرية :

- هذا .

اتسعت عيون الرجال الثلاثة ، فى مزيج من الدهشة والذعر ، وهم يحدقون فى وجه (أدهم) ، الذى استطرد ساخرًا :

- مفاجأة .. أليس كذلك ؟!

قفزت أيديهم إلى مسدساتهم فى سرعة البرق ، وأحدهم يهتف :

- أيها الـ ..

قبل أن يتم عبارته ، أخرسه (أدهم) بلكمة كالقنبلة ، من أسفل إلى أعلى ، ارتفع لها جسد الرجل لعدة سنتيمترات عن الأرض ، وارتطم رأسه بجدار المصعد فى عنف ، فى نفس اللحظة التى ارتفعت فيها قدم

(أدهم) ؛ لتغوص فى معدة الثانى كمطرقة من الفولاذ ، وتلصقه بالجدار المقابل ، وهو يطلق شهقة مؤلمة ، وعاموده الفقرى يصرخ ألمًا ، فى حين تراجع الثالث مذعورًا ، حتى التصق بباب المصعد ، وهو ينتزع مسدسه من سترته ، ولكن (أدهم) انقضّ عليه كالصاعقة وهو يقول ساخرًا :

- ألم يحذِّرك أحد فى طفولتك ، من الاقتراب من أبواب المصاعد ؟!

قالها ، وهو يلكم الرجل بيمناه فى أنفه ، ثم يعقب لكمته بأخرى من يسراه ، فى أسنانه مباشرة ..

وتفجَّرت الدماء من أنف الرجل وفمه ، وانطلقت قبضة (أدهم) اليمنى مرة ثانية ، لتمزج الدمين ، وتسحق أنف الرجل تمامًا ..

ودار (أدهم) حول نفسه ، ولكم أحد الرجلين الآخرين فى فكه مباشرة ، ثم جمع قبضتيه ، وهوى بهما معًا على رأس الآخر كالقنبلة ..

وتكوَّم الرجال الثلاثة عند قدميه ، فأسرع ينتزع مسدساتهم ، وخزانات الرصاصات الإضافية ، ثم ابتسم فى سخرية ، قائلاً :

ـ أبلغوا تحياتى للوغد (أندروفيتشى) ..

وبقفزة مدهشة ، دفع باب الطوارئ العلوى للمصعد ، وتعلق بحافته ، ثم عبره فى مرونة ، وعاد يغلقه خلفه ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها المصعد إلى الطابق الثالث ، وانفتح بابه آليًا ، فالتفت إليه الرجلان اللذان تركهما (أندروفيتشى) لحراسة الطابق ، وهتف أحدهما عندما وقع بصره على الرجال الثلاثة :

ـ اللعنة ! ماذا حدث ؟!

بلغ هتافه مسامع (أورتيجا) و (كواردوس) و (أندروفيتشى) فاندفع ثلاثتهم خارج حجرة هذا الأخير ، واتسعت عيونهم فى دهشة ، مع مرأى ما أصاب الرجال الثلاثة ، فانتزع (أندروفيتشى) مسدسه فى حدة ، وتلفت حوله هاتفًا :

ـ إنه هنا .

كان باب المصعد يبدأ رحلة الإغلاق ، بعد انتهاء فترة انتظاره ، فأسرع أحد رجلى الحراسة يعترضه ، فى حين اندفع الثانى يخرج الرجال الثلاثة من المصعد ، و (أورتيجا) يقول فى عصبية بالغة :

ـ إنه يتحدانا !! يعبث بنا .. يسخر منا .. إنه ..

قاطعه (أندروفيتشى) فى صرامة :

ـ إنه هنا ..

ثم تلفت حوله فى عصبية زائدة ، وأضاف :

ـ داخل الفندق .

التقط (أورتيجا) جهاز اللاسلكى من حزامه فى سرعة ، قائلاً :

ـ سأستدعى رجالى .

أمسك (أندروفيتشى) معصمه فى قوة ، قائلاً فى صرامة :

ـ قلت : إن كل شىء سيسير وفقًا لأوامرى وحدها .

قال (أورتيجا) فى عصبية ، وهو يحاول تخليص معصمه ، من قبضة الروسى :

ـ ولكن هذا الأمر يحتاج إلى تدخل الشرطة .

أجابه (أندروفيتشى) فى صرامة :

ـ خطأ يا رجل .. خطأ .. تدخل الشرطة الآن سيزيد الأمور تعقيدًا .. يكفينا ما نعانيه من تدخلكم السابق .

انتزع (أورتيجا) معصمه من يد (أندروفيتشى) ، وهو يقول فى حدة :

ـ لولا تدخلنا هذا لما ..

قاطعه (أندروفيتشى) فى حدة مخيفة :

ـ لما ماذا ؟!

تراجع مفتش الشرطة فى توتر ، مغمغمًا :

ـ لا شىء يا سنيور .. لا شىء .

تطلّع (أندروفيتشى) فى عينيه مباشرة بنظرة صارمة قاسية سرت لها قشعريرة باردة فى جسد الرجل ، قبل أن يعتدل الروسى ، ويشير إلى (كوادروس) قائلاً :

ـ مر رجالنا بترك ذلك الاحتفال السخيف ، والعودة إلى العمل فورًا ..

أريد محاصرة الفندق كله .. كل المداخل والمخارج بلا استثناء .. حتى الأبواب الخلفية للمطابخ وفتحات القمامة .. سنسجن ذلك الشيطان هنا ، حتى يمكننا السيطرة على الموقف ، وبعدها سنعمل على تمشيط الأدوار ، واحدًا بعد الآخر ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى أحد الرجال الثلاثة ، الذين سحقهم (أدهم) داخل المصعد ، وهم يسحبونه خارجه ، فهتف بالحارسين :

ـ مهلاً .

توقّف الرجلان فى حيرة ، فاندفع نحوهما ، وانحنى

يفحص الرجل فى اهتمام مما جعل (أورتيجا) يقترب منه فى حذر ، قائلاً :

ـ ماذا هناك ؟!

أجابه الروسى فى توتر :

ـ هذا الرجل تحطم أنفه منذ لحظات قليلة .. قليلة للغاية .

سأله (أورتيجا) فى حيرة :

ـ وماذا يعنى هذا ؟!

اعتدل (أندروفيتشى) بحركة حادة ، دون أن يجيب سؤاله ، وأدار عينيه فى سرعة إلى المصعد ، ونقل بصره فى حنكة بين آثار القتال على جدرانه ، ثم رفع عينيه إلى فتحة الطوارئ فى سقف المصعد ، وانعقد حاجباه فى شدة ، قبل أن يهتف :

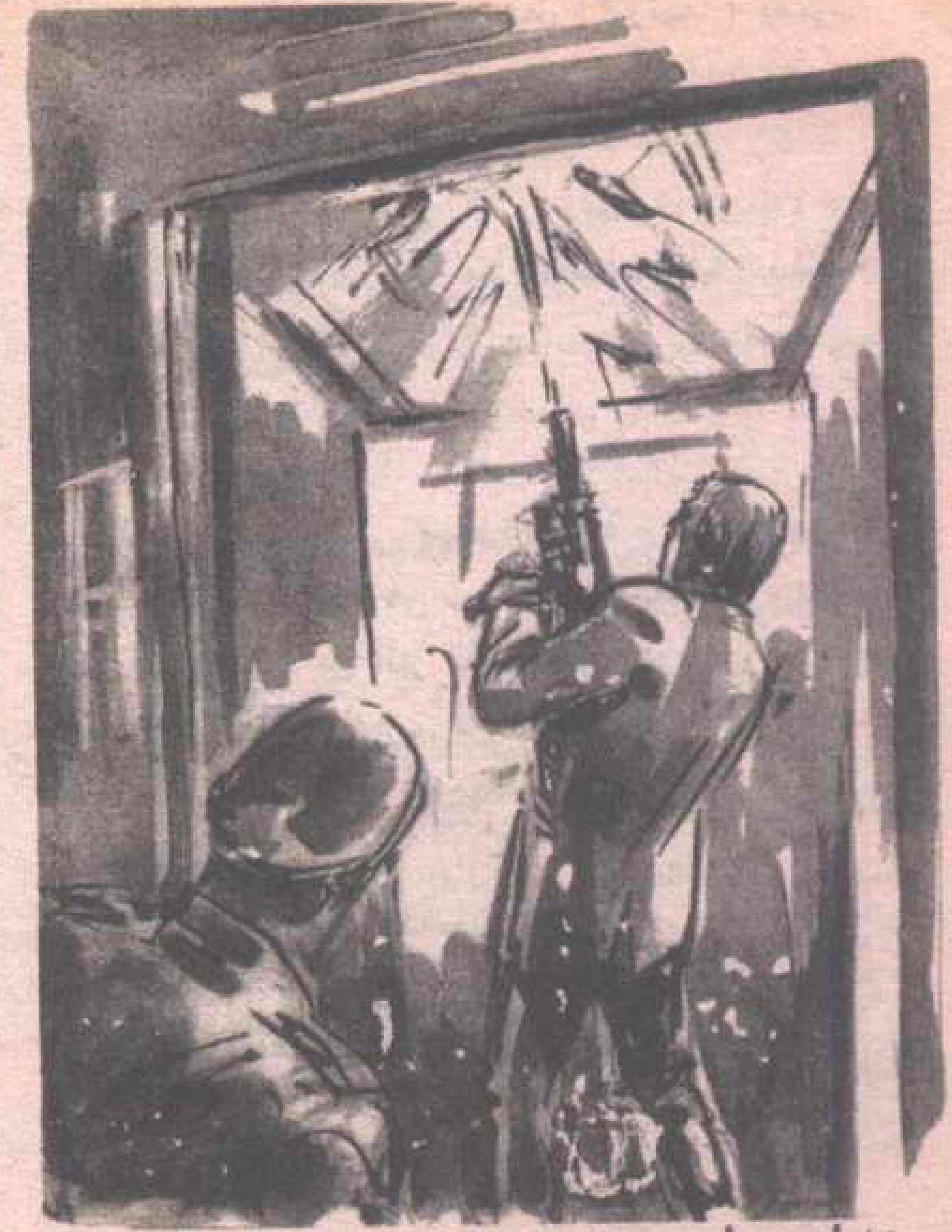
ـ اللعنة !

وبحركة سريعة ، وقبل أن يفهم أى من رجاله ما يحدث ، استدار ينتزع من أحدهم مدفعه الآلى ، ثم رفعه نحو سقف المصعد ، و ...

وأطلق النار ..

بمنتهى العنف .

* * *



وقبل أن يفهم أى من رجاله ما يحدث ، استدار ينتزع من أحدهم مدفعه الآلى ، ثم رفعه نحو سقف المصعد ..

٩ - الحصار ..

اتسعت عينا (قدرى) فى انبهار شديد ، وهو يستمع بكيانه كله إلى (جيهان) ، التى راحت تروى له ولـ (منى) ما حدث ، قائلة :

- عندما وصل (أدهم) إلى هنا ، عبر المقبرة الرئيسية لهذه القرية البدائية ، كان كل شىء يوحى بالفشل واليأس ، وبأن الوطنيين سيواجهونه مع (بترو) ، الزنجى الذى عثر عليه فى الكهف ، بمنتهى العنف والقسوة والشراسة ، وسيقتلونه على الفور ، بلا رحمة أو شفقة ، خاصة وأنه وصل إلى المكان فيما يطلقون عليه اسم (عيد كل الموتى) ، وهو اليوم الوحيد فى السنة كلها ، الذى لا يسمحون فيه لغريب ، مهما علا شأنه ، بأن يدنس قريتهم ، التى تستعد لاستقبال أرواح الموتى العائدة ، طبقًا لعقيدتهم الوثنية .. ولقد كان (أدهم) يحملنى ، وقد أضناه التعب ، وبلغ منه الإرهاق مبلغه ، وكنت أنا أكاد ألفظ أنفاسى الأخيرة ، و (بترو) يرتجف رعبًا

وهلعًا ، لمعرفته بما يفعلـه الوطنيون ، فى مثل هذا الموقف .

والتقطت نفسًا عميقًا ، قبل أن تقول :

- ولكن كانت هناك مفاجأة فى انتظار الجميع .

بدا الاهتمام على وجـه (منـى) ، وهى تعتدل فى مجلسها ، متسائلة :

- ماذا حدث بالضبط ؟!

لوَّحتْ (جيهان) بيدها ، قائلة :

- هؤلاء البدائيون كانت لديهم أسطورة قديمـة ، تقول : إنه بعد أن تتعقَّد أمورهم كثيرًا ، وتضيق بهم سبل العيش ، ستتجمَّع أرواح كل أبطالهم السابقين ، لتحلَّ فى جسد شخص واحد ، يأتى من قلب الموت ، فى عيد كل الموتى ، ليحمل إليهم الأمل ، وينقذهم مما هم فيه .

توقَّفت عن الحديث عندما دلفت إلى الكوخ مجموعة من النسـاء ، تحملن صحاف كبيرة ، فوقهـا كمية ضخمة من اللحوم المطهية بعناية ، والفواكه الطازجة ، فهتف (قدرى) فى لهفة :

- آه .. يبدو أن الحياة هنا ستروق لى كثيرًا .

انحنت إحدى النساء تنظف جرحه ، وتفحصه جيدًا ، ولكنه لم يولها أدنى اهتمام ، وهو ينقض على اللحوم والفواكه فى شراهة ، جعلت (جيهان) تضحك قائلة :

- رويدك يا (قدرى) .. إنهم يقدمون هذه الوجبات ثلاث مرات يوميًا .

هتف فى سعادة :

- عظيم .. عظيم .

أما (منى) فقد ابتسمت فى رصانة ، قائلة :

- وكنت تخشى أن يأكلوك ؟!

صرخ (قدرى) فجأة فـى ألـم ، وصاح فى المرأة التى تفحص جرحه :

- ماذا فعلت باللّه عليك ؟!

لم تفهم المرأة ما يقوله ولكنها رفعت يدها إليه ، وفردت راحتها ، فحدَّق فى الرصاصة التى استقرَّت فيها ، وهتف ذاهلاً :

- رباه ! أهى نفس الرصاصة ، التى ...

لم يستطع إتمام عبارته ، من فرط الانفعال ، ولكـن (جيهان) أجابته فى سرعة :

- نعم يا (قـدرى) .. لقـد انتزعـت الرصاصـة بأصابعها .

هتف فى ذهول :

ـ بأصابعها ؟! ولكننى لم أشعر بما يتناسب مع هذا .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ لا ريب فى أنها قد استخدمت أحد دهاناتهم العجيبة .. إنهم يمتلكون هنا عقاقير مدهشة .

سألتها (منى) فى لهفة :

ـ ماذا حدث يا (جيهان) بعد وصولكم إلى هنا ؟!

التفتت إليها (جيهان) قائلة :

ـ القدر قادنا إلى هنا ، فى الوقت المناسب تمامًا ، فالرجال فوجئوا بشخص يخرج من مقبرتهم الرئيسية ، حاملاً فتاة تحتضر وبصحبته عملاق أسود مخيف .. وبسرعة ، ربطوا بين ظهوره ، وبين أسطورتهم القديمة ، وراحوا يهتفون بأن المنقذ المنتظر قد ظهر .

قالت (منى) فى دهشة :

ـ ولكنه كان منهكًا للغاية كما تقولين ، وأنت كنت تحتضرين ، و ...

قاطعتها (جيهان) فى سرعة :

ـ لقد تصوّروا أن ما أصابنا مجرّد ناتج طبيعى ،

لانتقالنا من عالم الموتى إلى عالم الأحياء ، وأن كل ما نحتاج إليه هو التكيُّف مع حالة البعث هذه .

سألتها (منى) :

ـ وماذا عن (بترو) ؟!

ضحكت (جيهان) ، قائلة :

ـ إنه فى رأيهم حارس الموتى الذى رافقنا فى رحلتنا بين العالمين .

ابتلع (قدرى) قطعة كبيرة من اللحم فى صعوبة ، قبل أن يقول :

ـ إنه يبدو كذلك بالفعل .

ألقت (جيهان) نظرة جانبية على (بترو) الذى جلس صامتًا ساكنًا ، عند باب الكوخ ، كما لو أنه تمثال من المرمر الأسود وقالت :

ـ يبدو أنه هو نفسه قد صدّق هذه المقولة ، فمنذ استخدم هؤلاء القوم عقاقيرهم المدهشة ، وأعادوا (أدهم) إلى نشاطه ، وحيويّته السابقين ، وأنقذونى من موت محتوم ، وهو يعتبر نفسه الحارس الشخصى لنا .

وهزّت كتفيها مرة أخرى ، ثم تابعت :

- هل تصدقان إنه كان جبانًا رعديدًا ، عندما التقى به (أدهم) ؟!

توقَّف (قدرى) عن مضغ طعامه فى دهشة ، وهو يقول :

- هذا كان جبانًا رعديدًا .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- هكذا أخبرنى (أدهم) .. هو نفسه يشعر بالدهشة لما حدث ، فعقاقير هؤلاء البدائيين جعلته يستعيد كل طاقاته السابقة .. حتى جروحه لم تعد تؤلمه .. لقد التئمت كلها على نحو ما .. الجرح الذى أصابنى أيضًا كاد يلتئم ، على الرغم من أن عمره لا يتجاوز اليوم الواحد .

قالت (منى) فى دهشة :

- عجبًا ! كان من المستحيل أن أقتنع بقول كهذا ، لو لم أسمعه منك .. إننى أشعر بدهشة عارمة لكل هذا .

غمغمت (جيهان) :

- ستجدين الكثير مما يدهشك هنا .

نهضت (منى) قائمة فى حزم ، وهى تقول :

- لن أمضى المزيد من الوقت هنا ، وأترك (أدهم) يقاتل وحده هناك .

نهضت (جيهان) بدورها ، وقالت فى صرامة :

- أوامر (أدهم) حاسمة وصارمة فى هذا الشأن .. لقد أخبرنى ، فور علمه بقدومكما أنه سيبحث عنكما ، وسيرسلكما إلى هنا حتى ينهى مهمته فى (ريو) .

هتفت (منى) :

- ولكننى ..

قاطعتها فى صرامة أكثر :

- لا يمكننا مناقشة أوامر رئيسنا المباشر يا (منى) .

انعقد حاجبا (منى) فى توتر ، فعادت (جيهان) تشملها بنظرة طويلة من قمة رأسها وحتى أخمص قدميها ، قبل أن تقول بابتسامة غامضة :

- ثم إن عزيزنا (أدهم) قد أعدَّ لك برنامجًا حافلاً هنا .

تطلَّعت إليها (منى) بنظرة متسائلة حائرة ، فتابعت بسرعة :

- وصدقينى يا عزيزتى .. إنه برنامج خاص .. خاص للغاية .

قالتها وابتسامتها تزداد اتساعًا وغموضًا .. بلا حدود ..

★ ★ ★

عندما أطلق (أندروفيتشى) رصاصاته نحو سقف المصعد ، لم تكن لديه ذرة واحدة من الشك فى أن (أدهم) يختفى هناك ..

كل شىء كان يؤكد هذا بشدة ..

الدماء الدافقة ، على وجوه الرجال الثلاثة ..

آثار القتال الواضحة فى المصعد ..

وفتحة الطوارئ التى لم يتمّ إغلاقها فى إحكام فى سقف المصعد ..

لذا ، فلم يكد يطلق رصاصاته ، حتى وثب إلى الفتحة ودفع غطاءها بكل قوته ليتعلّق بحافتها ويدفع جسمه أعلى المصعد ..

وهناك انعقد حاجباه فى غضب هادر ..

كان يتوقّع رؤية (أدهم) جثة هامدة على سطح المصعد ، بعد أن اخترقت رصاصاته جسده بلا رحمة ..

ولكن (أدهم) لم يكن هناك ..

كان المكان خاليًا تمامًا ، فى حين بدا باب المصعد ،

فى الطابق الرابع ، منفرجًا قليلاً على نحو يوحى بأن أحدهم قد عبره ، ثم لم يبال بإغلاقه جيدًا خلفه ..

وهتف (أندروفيتشى) فى غضب :

- اللعنة ! لقد خدعنا .

ثم قفز عائدًا إلى المصعد وهتف برجاله :

- إنه فى الطابق الرابع .. أسرعوا .

انطلق (كوادروس) يسبق الرجال ، إلى الطابق الرابع ، فى حين قال (أورتيجا) فى عصبية :

- ذلك الرجل يتحرّك بسرعة وخفة مخيفتين يا سنيور ، ورجالك لن يمكنهم القيام بالعمل كله فى آنٍ واحد .

التفت إليه (أندروفيتشى) فى حدة قائلاً :

- رجالى أقوى مما تصوّر يا رجل .

لوّح (أورتيجا) بكفيه قائلاً :

- بالتأكيد يا سنيور .. بالتأكيد .. إننى لم أشر لقوتهم وقدراتهم قط .. كل ما كنت أقصده هو أن عددهم أقل مما ينبغى .

رمقه (أندروفيتشى) بنظرة عصبية ، فتابع بسرعة :

- بالإضافة إلى السنيور (كوادروس) ، والسنيور (لاماس) ، وأنت يا سنيور يصبح عددكم كله خمسة

عشر رجلاً ، ولقد عولج ثلاثة منهم بعنف شديد ، جعلهم غير صالحين للعمل ، فى الوقت الحالى ، وهذا يعنى أنكم دستة من الرجال فحسب ، وهذا الفندق له سبعة مداخل ومخارج .. وهذا يعنى أن سبعة منكم سيضطرون لحراسة تلك المداخل السبعة ، ولن يتبقى سوى خمسة رجال ، للبحث عن ذلك الشيطان داخل الفندق .

سأله (أندروفيتشى) فى حذر :

- وماذا تقترح إذن ؟!

أجابه (أورتيجا) فى سرعة ولهفة :

- أن تتفرّغ ورجالك للبحث عنه ، فى حين يتولّى رجالى حراسة المداخل والمخارج فحسب ، دون أن يتدخّلوا فى عملية البحث ذاتها .

انعقد حاجبا (أندروفيتشى) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

- لا بأس .. هذا اقتراح معقول للغاية .

ثم أشار بيده ، وهو يتحرّك نحو سلم الفندق ، فى خطوات واسعة سريعة ، مستطردًا :

- مُرْ رجالك بحراسة المداخل والمخارج ، وسنتولّى نحن أمر ذلك الشيطان ، و ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع دوى رصاصات مدفع آلى ، فى الطابق الرابع ، فانطلق (أندروفيتشى) يعدو إلى هناك ولحق به (أورتيجا) ، وهو يهتف بأحد رجاله ، عبر جهاز اللاسلكى :

- احرسوا كل مداخل ومخارج الفندق وأطلقوا النار فورًا على ذلك الرجل ، الذى وزّعت صوره عليكم ، وإياكم أن تتدخّلوا فيما يحدث بالداخل ، مهما كانت الأسباب .. هل فهمتم ؟!

وصل الاثنان إلى الطابق الرابع فى تلك اللحظة ، وبدا لهما (كوادروس) يحمل مدفعًا آليًا ، ويصوّبه إلى إحدى الغرف ، التى ظهر فى بابها ثقوب رصاصات عديدة ، فى حين كان أحد الحارسين ملقى إلى جواره ، والدماء تغرق أنفه ووجهه كله ، فهتف (أندروفيتشى) فى عصبية :

- ماذا حدث ؟!

أجابه (كوادروس) ، وهو يشير إلى الباب فى حدة :

- كنا نتفقّد الطابق ، بحثًا عن ذلك الشيطان ، عندما سمعنا حركة ما هنا ، وعندما اقتحمنا المكان هبط علينا من السقف كالصاعقة .

ارتجف صوت (أورتيجا) وهو يقول :

- من السقف ؟!

أجابه (كوادروس) فى انفعال :

- نعم .. كان معلقًا من قدميه فى سقف الحجرة ولقد هبط كطير جارح ، فوجئنا به أمامنا ، ولكم زميلنا هذا فى أنفه لكمة كالقنبلة ، حتى أنه ارتطم بى فى عنف ، واندفع كلانا خارج الحجرة ، فى حين جذب هو الحارس الآخر فى قوة ، وركل الباب ليغلقه خلفه ، و ...

قاطعه (أندروفيتشى) فى عصبية :

- وأطلقت أنت النار على الفور .

بدت الحيرة على وجه (كوادروس) وهو يقول :

- وماذا كنت تنتظر منى أن أفعل أيها القائد ؟!

احتقن وجه (أندروفيتشى) ، وهو يهتف :

- غبى .

تراجع (كوادروس) فى عصبية ، وعقله يعجز عن فهم ما أغضب قائده ، الذى دفع باب الحجرة المملوء بثقوب الرصاصات ، فهتف به (أورتيجا) :

- احترس يا سنيور .. ذلك الشيطان بالداخل .

قال (أندروفيتشى) فى حنق :

- هل تعتقد هذا أنت أيضًا ؟!

همّ (أورتيجا) بقول شىء ما ، لولا أن وقع بصره على الحارس الثانى ، ملقى جثة هامدة عند مدخل الحجرة ، وقد اخترقت جسده كل الرصاصات التى أطلقها (كوادروس) الذى هتف :

- يا للشيطان !

التفت إليه الروسى قائلاً فى حدة :

- نفس ما توقعته تمامًا .. إنه يثير أعصابنا ، ثم يستفيد من حماقاتنا وأخطائنا .. لقد فقدنا رجلين آخرين دون أن نضع أيدينا عليه .

قال (كوادروس) فى عصبية :

- ولكنه هنا .

أجابه (أندروفيتشى) فى صرامة :

- أعلم هذا ...

ثم تلفت حوله قبل أن يتابع فى صرامة حملت غضبًا واضحًا :

- أعلم أنه هنا حولنا ، فى مكان ما ، ينتظر أخطاءً أخرى ، ليقضى على من تبقى منا .

سأله (كوادروس) فى توتر بالغ :

ـ وماذا تقترح أيها القائد ؟!

صمت (أندروفيتشى) بضع لحظات قبل أن يجيب فى صرامة :

ـ سنبدأ عملية تمشيط منهجيةٍ ..

ثم التفت إلى (أورتيجا) قائلاً :

ـ ضع بعض رجالك خارج الفندق أيها المفتش ، واطلب منهم مراقبة نوافذه من الخارج .

تمتم (أورتيجا) فى حيرة :

ـ نوافذه ؟!

أجابه الروسى فى صرامة :

ـ نعم أيها المفتش .. النوافذ والشرفات .. لقد استغلّ (أدهم صبرى) تلك النوافذ والشرفات بالتأكيد ، ليخرج من هذه الحجرة .. لقد قفز من شرفتها إلى شرفة مجاورة ، أو هبط منها إلى الشرفة التى تقع أسلفها تمامًا ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، ليهتف فى حنق :

ـ اللعنة !

ثم اندفع نحو السلم ، فهتف (كوادروس) ، وهو يلحق به :

ـ ماذا حدث أيها القائد ؟!

لوَّح (أندروفيتشى) بذراعه هاتفًا :

ـ الغرفة السفلى هى غرفتنا أيها الغبى .

شهق (أورتيجا) فى هلع ، فى حين هتف (كوادروس) :

ـ يا للشيطان !

انطلق الثلاثة كالصاروخ نحو الحجرة ، وما إن بلغوها حتى هتف (أندروفيتشى) فى سخط :

ـ اللعنة !

فعلى الجدار المقابل تمامًا ، كانت هناك عبارة مكتوبة بالروسيةِ ، بطلاء أحمر زاه ..

« هل أدهشك هذا أيها الوغد الروسى ؟! »

توقَّف (أندروفيتشى) لحظة ، يتطلَّع إلى العبارة ، ثم لم يلبث أن اندفع داخل الحجرة فى حنق و (كوادروس) يهتف من خلفه :

ـ ماهذا بالضبط ؟! إنها لغة أجنبية غير مفهومة .

لم يعلِّق (أندروفيتشى) على العبارة وإنما أشار إليه ، قائلاً فى صرامة آمرة :

ـ فتش الحجرة جيدًا .

أسرع (كوادروس) ينفذ الأمر دون مناقشة ، فى حين أدار (أورتيجا) عينيه فيما حوله ، وقال فى توتر :

- عجبًا ! إنه لم يأخذ شيئًا من الحجرة .

قال (أندروفيتشى) فى حنق :

- إنه ليس لصًا يا رجل .. لقد فعل هذا ليستفزنا فحسب ..

وأدار عينيه فيما حوله مرة أخرى ، قبل أن يضيف فى صرامة :

- إنه يواصل اللعبة نفسها .. وبمنتهى النجاح .

ران صمت ثقيل على الحجرة للحظات ، ثم قال (أندروفيتشى) فى حزم :

- مُرْ رجالك بما أمرتك به ، أيها المفتش .

أومأ (أورتيجا) برأسه إيجابًا ، والتقط جهازه اللاسلكى على الفور ، وراح يملى أوامره على رجاله فى حين أشار (أندروفيتشى) إلى (كوادروس) قائلاً :

- اذهب لإحضار الجميع .. هل تفهم ؟ الجميع بلا استثناء .. أخبرهم إننى أريدهم هنا ، خلال دقيقة واحدة .

أجابه (كوادروس) فى حماس :

- أوامرك أيها القائد .

واندفع لتنفيذ الأمر ، فى حين انعقد حاجبا (أندروفيتشى) فى غضب شديد ، وهو يتطلَّع إلى العبارة الروسية ، مغمغمًا :

- فليكن يا (أدهم صبرى) .. سنرى من منا يضحك أخيرًا .

أنهى عبارته ، وتطلَّع إلى العبارة بضع لحظات أخرى فى غضب ، و ...

وفجأة انطلق رنين هاتفه المحمول ، فالتقطه من جيبه فى حدة ، وضغط زر التحدُّث قائلاً :

- (أندروفيتشى) .

احتقن وجهه فى شدة ، وتوتَّرت أعصابه عن آخرها ، مع الضحكة الساخرة ، التى اخترقت أذنه ، حاملة صوت (أدهم صبرى) ، الذى قال بلهجة تهكمية لاذعة :

- هل قرأت عبارتى أيها الوغد الروسى ؟!

ضغط (أندروفيتشى) أسنانه فى حنق وهو يقول :

- لن يمكنك الخروج من هنا حيًا يا (أدهم) .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة أخرى قائلاً :

- هل تعتقد هذا حقًا ، يا عزيزى (أندروفيتشى) ؟!

وصل (لاماس) و (كوادروس) وباقى الرجال فى تلك اللحظة ، وهتف الأوَّل فى انفعال شديد :

- هل ما أخبرنى به (كوادروس) صحيحًا أيها القائد ؟!

أشار إليه (أندروفيتشى) بالصمت وهو يقول عبر الهاتف :

- نعم أعتقد هذا تمامًا يا (أدهم) .. إننا نحاصر الفندق كله ، ولن تجد ثغرة تكفى لفرار بعوضة من هنا ، دون أن ينكشف أمرها .

أجابه (أدهم) متهكمًا :

- عجبًا ! هل نسيت القاعدة الذهبية يا عزيزى (يورى) .. لا يوجد نظام أمنى يخلو من الثغرات ، مهما بلغت دقته .

انعقد حاجبا (أندروفيتشى) أكثر ، وهو يقول :

- هذا ينطبق عليك أيضًا يا سيِّد (أدهم) .

نطقها فى بطء ملحوظ ، يوحى بأنه يفكر فى أمر ما بمنتهى العمق ، ثم أسرع يجذب جهاز كمبيوتر

نقَّال صغير ، وانتزع منه سلكًا طويلاً ، أوصله بجزء خاص من هاتفه المحمول ، فغمغم (لاماس) ، وهو يراقبه فى حيرة :

- ماهذا بالضبط ؟!

أشار إليه (أندروفيتشى) مرة أخرى بالصمت ، ثم أشار إلى شاشة هاتفه المحمول ، فاقترب منها (لاماس) و (أدهم) يقول :

- بالتأكيد يا (يورى) .. كلنا بشر ، وما من بشر كامل .

قال (أندروفيتشى) وهو يضرب أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

- من يدرى ؟ ربما تنطبق عليك هذه القاعدة ، بأكثر مما تنطبق على أى مخلوق آخر يا سيد (أدهم) .

ظهرت قائمة أرقام على شاشة الهاتف ، فحرَّك (أندروفيتشى) مؤشر فأرة الكمبيوتر فى سرعة إلى الرقم الأخير وضغط زرها ، فارتسمت على الشاشة خريطة للعالم ، وراحت تتحرَّك فى سرعة ، حتى تركزت على (ريو دى جانيرو) ، ثم ظهر رسم تفصيلى للفندق ، فغمغم (لاماس) فى حماس :

ـ آه .. فهمت .. الهاتف المحمول يسجِّل الأرقام التى تتصل به ، وهذا البرنامج يتيح لك تحديد مصدر المكالمة .. أليس كذلك ؟

أومأ (أندروفيتشى) برأسه إيجابًا ، وهو يشير إليه بالصمت ، فى حين كان (أدهم) يقول ، عبر الهاتف :

ـ هذا أمر طبيعى ، فأنا أيضًا مجرَّد بشر .

تألَّقت عينا (أندروفيتشى) ، عندما حدَّد الكمبيوتر رقم الحجرة ، التى يتحدَّث منها (أدهم) ، وأشار إلى (لاماس) ، مجيبًا :

ـ بالضبط يا سيِّد (أدهم) .. بالضبط .

انتقل التألُّق إلى عينى (لاماس) ، وهو يقرأ رقم الحجرة ، الذى يؤكِّد أنها إحدى حجرات الطابق الثالث نفسه ، ثم اعتدل مشيرًا إلى الرجال ، واندفعوا جميعًا نحو تلك الحجرة بالتحديد .

أما (أندروفيتشى) ، فقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة كبيرة ، وهو يتابع حديثه قائلاً :

ـ ومن يدرى ؟! ربما كانت نهايتك أقرب مما تتصوَّر .. أقرب بكثير .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته هذه ،

كان (لاماس) و (كوادروس) وباقى الرجال قد بلغوا تلك الحجرة ، التى يتحدث منها (أدهم) ، فاندفع (كوادروس) نحوها وضرب بابها بقدمه فى عنف ، ثم اقتحمها الجميع ، ورفعوا فوهات مدافعهم الآلية نحو الرجل ، الذى يمسك الهاتف ، و ...

ودوت الرصاصات فى ذلك الفندق ، فى (ريو دى جانيرو) ، وامتزجت بصرخات وغناء المحتفلين بالمهرجان وهى تصيب هدفها ..

ويمنتهى الدقة .

* * *

(انتهى الجزء الثالث بحمد الله)

ويليه الجزء الرابع

[مهرجان الموت]



بلا رحمة

- ما مصير (أدهم) و(چيهان)، بعد أن وقعا فى قبضة رجال الأدغال فى (البرازيل) ؟!
- هل تنجح السنيورا فى استكمال برنامجها النووى، والسيطرة على اقتصاد العالم أجمع ؟!
- ترى هل يمكن أن يعود (أدهم) لمواجهة الخطر، والتصدى لرجال السنيورا، فى صراع (بلا رحمة) ؟!
- اقرا التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل).

٣٥٧٩



العدد القادم : مهرجان الموت

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

115

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم